الطبعة 3

سلسلة السر 2

خادم الصندوق

أسماء كارم



خادم الصندوق

خادم الصندوق

أسماء كارم

الطبعة الثالثة ، القاهرة 2017م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد المصري

رقم الإيداع : 1951 /2017

I.S.B.N: 978-977-488-511-2



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

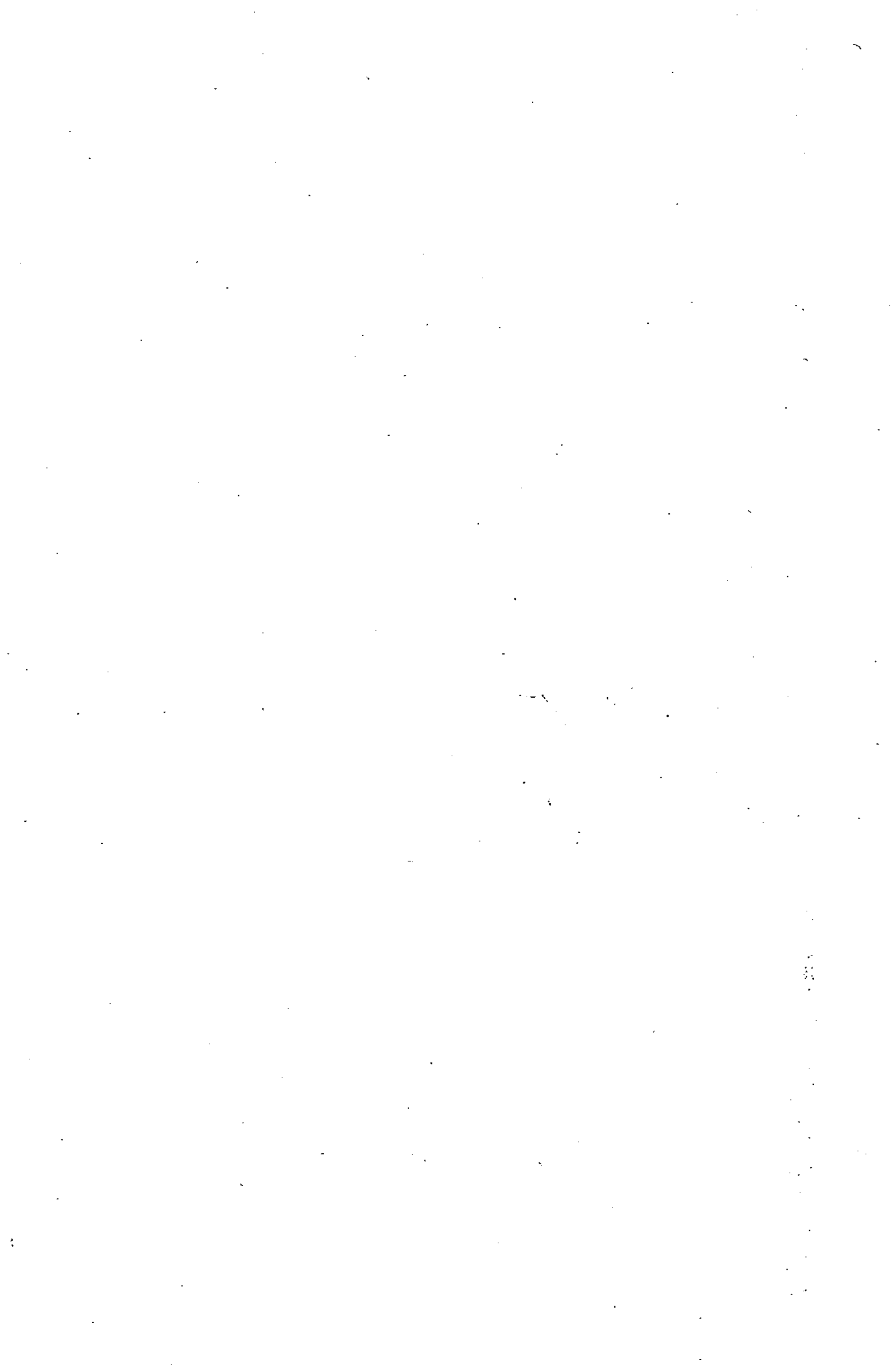
خادم الصندوق

رواية

أسماء كارم



دار اكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

إلى روح جدتي الغالية ، من كانت ملهمتي منذ البداية
وحتى النهاية

إلى أصحاب الروايات الحقيقيين.

إلى كل من تابعني وشجعني وانتظر كتاباتي .

إلى روحي التي تعلّقت بكل ما سبق .



لم يعد أحداً يسكن هذا المنزل من فترة طويلة ولكن لا أحد يعلم ماذا يحدث؟ وكأن الزمن يعيد نفسه من جديد، اللعنات تتكرر وتتكرر مرة أخرى، كل شيء يحدث ولكن باختلافات طفيفة؛ ربما لأن الزمن ما عاد هو الزمن، البشر ما عادوا هم البشر، حتى تكوينات الأفكار لم تعد كالسابق.

ذكروا لي أن التيار الكهربائي في السابق لم يكن كالآن، لمبات الجاز كانت تحل محل كل شيء، أصوات البواجير كانت تئن بالمطبخ فتبشر بعمل وجبة عظيمة برغم اختلاط رائحتها برائحة الجاز وهباب النار الذي كان يكسو كل شيء حولة فيجعله أسود، ربما لهذا السبب كانوا يشعرون بكل ما هو غريب حولهم، كان الراديو هو منفذ التسلية الوحيد، حين ينغلق ينغلق معه كل شيء.

حكى لنا والدي كثيرًا روايات مختلفة عن هذا المترل، لكنه لم يرى قط كل التفاصيل، فما من شخص يريد أن يتذكر أي شيء عن ماض مؤلم تحدثت به ممالك الجن، وأعلنت عن قدومها وتحديها، أشياء تذكر عن هذا الحريق، قشعريرة نشعر بها بمجرد مرورنا أمام هذا المترل الذي نعلم تاريخه ،بعض الوصمات التي وصمت أسرة بأكملها، وكأهم اختاروا أن يُفعلَ بهم كل هذا.

لم تكن أحاديثه بالنسبة لنا نحن أولاده إلا مجرد حكايات نسمعها وكأنه يحكي لنا إحدى قصص الرعب المسلية، ولكني كنت ألمح في عينيه نظرة حزن مستمرة، حينما يذكر لنا الشارع والرفاق القدامى، وحينما يذكر ما كان يحدث لأمه "جدتي" من تعذيب على يد أشخاص غير مرئيين، ربما أثار حديثه فضولي لأبحث في هذه القصة خاصة بعد ذِكْرِ هذه الأحداث مرة أخرى، ولكن عذرًا، لن أستطيع سرد كل التفاصيل، فما حدث كان مُفاجئًا للجميع.

بدأ الموضوع باتصال شخص ما يُدعى "الدكتور خالد" بوالدي ومقابلة طلبه بشأن المترل، وحكى لنا والدي الآتي :

ربما هناك جريمة قتل وأهم يشكون في أن لها علاقة بالمترل، عندما حكى لنا تفاصيل المقابلة لم أشعر بالارتياح، فعادة مواليد

برج الميزان، "وأنا منهم "برغم اجتماعيتهم المشهودة، فإنهم يتشككون باستمرار في شأن أي شيء لا يملكون جميع خيوطه، مما جعلني أسأل والدي، وهو يحكي لنا كيف حكى لهم كل شيء :

- بابا تفتكر أصلًا الموضوع ليه علاقة بالبيت القديم بتاعكوا فعلا؟

فردّ على سؤالي بسؤال:

- أكيد وإلّا إيه اللي يخلّي رئيس مباحث، واتنين دكاترة يطلبوا يقابلوني علشان الموضوع؟

- مش عارفه، بس عندي إحساس إن الموضوع أكيد فيه حاجة تانية، يعني أصل أكيد العفاريت ماخرجتش من البيت تقتل واحدة وترجع تاني.

فداعبني والدي بجملة بدت مبهمة، وهو مبتسم:

- شُغل عفاريت بقى، هههههههه.

بعد أن حكى والدي القصة مرة أخرى بتفاصيل أكثر عن هذا المنزل القديم تذكّرت أني كنت قد اشتريت بعض الكتب من فترة، ربما من شخص ما يسير بالشارع أحيانا ليبحث عن أي شيء قديم للبيع، روبابكيا، ولكني قد أخفيتها عن أعين كل من بالمنزل حتى لا يجن جنونهم ، فالوالدان عادة يعتقدون في مثل هذه

الأوقات أن أي شيء يفعله أولادهم قد يجلب أي شيء، المقص ليلًا يجلب الفقر، السهر ليلًا يجلب النحس، الغناء ليلًا يجلب الذئاب، الصفير ليلًا يجلب الثعابين، وبمناسبة الثعابين حاولت أن أقنع أمي بأن الثعابين لا تسمع أصلًا، ولكن ما من جدوى.

كانت نيفين تروي لي هذه القصة، وأنا أتابعها في قمة التركيز، للحظة أحسست بالفضول لأعرف أخر الأحداث، ولكني أيضا كنت متشوقًا لمعرفة كل التفاصيل بوقتها، أحسست ببعض الارتباك في معالم وجهها حينما ذكرت الكتب التي تمتلكها، وربما هذا هو السبب الذي جعلها تنصرف عن الحوار بموضوع الثعابين، ولكنها قاطعت تفكيري بابتسامتها، وكأنها كانت تعلم ما جاء برأسي، وسأسرد عليكم باقي التفاصيل، هي قصة واقعية، ولكنها تخلو تمامًا من أي منطق واقعي.

دخلت نيفين إلى حجرتها وأغلقت الباب وراءها، ذهبت لتفتح درجاً بمكتبها لتخرج منه كتابًا بدا من جلدته أنه يرجع لزمن قديم، ربما لأكثر من 200 عام، كان ورقه أصفر، يبدو مهترئاً بعض الشيء، وكان على ما يبدو أيضا أنه نسخ باليد وليس مطبوعًا، على جوانب صفحاته دُوِّنَت بعض الملاحظات ربما دونها صاحب الكتاب الأصلي حيث بدا من الخطين أنهما

لنفس الكاتب، كتابًا ما كان اسمه مطموسًا، ولكن يمكن قراءة بعض منه: شموس المعرفة، لابن قيداش، وشيئًا ما لراهب ربما يُدعى: مهطوئيل القبطي.

ربما كان اسما هذين الكتابين وحدهما يثيران الخوف في نفوس بعض الأشخاص، على أن نيفين لم تكن خائفة قط، فهي تعلم أنه حتى وإن رأتها، فهي لن تكون المرة الأولى.

كانت نيفين منذ الصغر تميل للمكوث وحدها تتأمل كثيرًا، تتذكر أنها وهي في الثانية من عمرها كانت تلعب مع الذباب، أجل الذباب، كانت تضع يديها على زجاج النافذة وتأمرها بالمكوث هنا، ثم تتحرك وتقول: هنا، وكان الذباب يُنفّذ، ربما يكون هذا أمرًا عاديًا من الطبيعي أن يتبع الذباب إصبع طفل صغير، فغالبًا تكون يداه محمَّلتين ببواقي الحلوى التي تجذب الذباب، ولكن الأمر غير الطبيعي هو أن الزجاج كان دومًا مُغلقًا، والذباب كان يتجمّع بالخارج، وهذه الدُمية التي كانت تتحدّث معها، كانت تسميها "سنكوح" هو اسم غريب ، ولكنها كانت تحبه كثيرًا، مهرجًا، له شعر أحمر، ويرتدي قبعة وحذاءً بالغ الكبر، كانت مرتبطة به كثيرًا، وربما لهذا السبب أحرقوه، فلقد كان ارتباطها به غير طبيعي.

فتحت نيفين الكتابين أمامها، وجدت بهما عدة طلاسم غريبة وكتابات غير مفهومة، تركتها أمامها، وبدأت تفكر في ما هو مضمون القضية التي لها علاقة بالمترل القديم، جلست تفكر وحدها في حكايات جدها عن المترل، كانت تذكر أنها كانت تروي حكايات ممتعة، جلسات مع الجن والعفاريت، فتحت درج مكتبها وأخرجت ملفًا به عدد من الصور وأوراق جرائد قديمة، صورة لجدها في إحدى الجرائد وهي متخذة وضع القرفصاء تتناول شيئًا ما من الأرض ومظاهر الحريق الذي دمر كل شيء واضحة وضوح الشمس، كيف كانت جدها تجلس معهم وفجأة يجدون شيئًا ما يهم بضربها؟! كانوا يسمعون صوت نزول اليد على وجهها لكنهم لا يرون شيئًا إلا أثر الأصابع على وجه جدها، هدأت قليلًا ولكنها بدأت تفكر في وقت من أوقات حياتها، تلك الأوقات التي كانت تنام فيها لتشعر بأن هناك شيئًا ما يهز سريرها بشدة، فتنهض ولا تجد شيئً، حينما كانت ترى شخصًا ما يقف في جانب الحجرة،وحين تغمض عينيها وتفتحهما لا تجده، نفضت هذه الفكرة عن رأسها، فمن المؤكد أنه خيالها الذي يحن لهذه الحكايات ويتفاعل معها ليس أكثر.

جلس دكتور خالد يتصفح عددًا من الملفات الطبية في مكتبه، كانت هذه الملفات ترجع لزمن طويل مضى، كيف لحالة تعاني ورمًا بالمخ وغيبوبة تستمر مدة تقرب لـــ 11 عامًا أن تُشفى فجأة، كل الأطباء أقروا بأنهم لم يقوموا بإجراء العملية الجراحية، حقيقة في السبعينيات لم تكن هناك الإمكانات الطبية ولا المعدات التي تسمح بإجراء مثل هذه العمليات، ولكن كان للمريض أخا يجلس معه أقرَّ بأن هناك ثلاثة أطباء قاموا بإجراء العملية، ولم يتحدثوا بكلمة واحدة، ترى ما ملابسات الموقف، لا أحد يعلم غير أن المريض قد شُفيَ تمامًا مما كان به من مرض، جلس يفكر حتى قاطعه صوت جرس التليفون :

– آلو، صباح الخير.

– آلو ، أيوة يا خالد ، أنا أحمد .

– إيه يأبو حميد ، بقالك يومين مش باين ؟

– خالد، عاوز أشوفك ، ضروري .

– طيب أنا في المستشفى، نتقابل فين ؟

– هقابلك في البيت بعد ساعة، كويس ؟

– تمام، تعالالي إنت بقى.

– تمام، ساعة وهأكون قدام البيت.

خالد طبيب بشري يدرس في كلية الطب مادة التشريح، وله باع في عدد من الأبحاث على الأمصال الطبية والسموم الغريبة التأثير، أما أحمد فهو رئيس مباحث وصديقه منذ الطفولة، إلى جانب أنهما جيران، ولكم اعتاد خالد الاتصال بأحمد وإشراكه في التفكير معه لحل بعض الجرائم الغريبة، مما جعل خالد كاتبًا لروايات مستوحاة من الجرائم غير منطقية.

على غير العادة بدا أحمد متوترًا جدًّا،قاطعه خالد وهو يبتسم:

- إيه يا أحمد بقالك ساعة تقريبا قاعد من غير ما تتكلم ولا كلمة.

رد عليه أحمد، وقد بدا على صوته بعض الريبة من رد فعل خالد :

- عبد الفتاح متهم في جريمتين قتل.

- إيه؟

- بدا على خالد الفزع من هول الجملة.

- عبد الفتاح...

قاطعه خالد:

- سمعت، بس إزاي؟

- بنتين ماتوا، وعبد الفتاح آخر واحد شافهم، والذهم اللي بلغ عن الحادثة، أنا مش فاهم حاجة وهو رفـــض يـــتكلّم إلا في وجودك، حتى مطلبش محامي.

- قاطعه خالد مسرعًا:

- وهو فين دلوقتي ؟

- في مكتبي، مقدرش أدَخلُه تخشيبة مع مجرمين، بس كمان لازم أفهم إزاي ده حصل.

- أردف خالد:

- هو حد عرف مِنْ عنده في البيت؟

- أيوه، مراته عرفت.

- دي مصيبة بكل المقاييس.

- رد أحمد في حدة:

- المشكلة الأكبر إن كل اللي قالتهوله: أنا قلتلك بـــلاش الطريق ده، كفاية اللي حصل قبل كده، ومشيت، وهو كل اللي قاله أنا عاوز خالد.

أردف خالد :

- يلاَّ بينا، الكلام هنا مش هينفع، وابقى احكيلي بقى، واحنا في الطريق.

لم يكن خالد مدركًا لأي شيء إلا أن عبد الفتاح من المستحيل أن يقتل ذبابة، فكيف له أن يقتل أختين في نفس الوقت؟! كان من الصعب عليه تصديق أن طبيب قلب مشهورًا من الممكن أن يفعل فعلة كهذه.

كما كان من الأصعب على أحمد أن يحقق مع رفيق الطفولة الثالث، ربما كانت أخبارهما منقطعة بعضهما عن بعض من فترة، ولكن، حينما تأتي المشاعر المتضاربة بين احترام العشرة وتطبيق الواجب...

قاطع هذه المشاعر حديث خالد :

– إيه اللي حصل بالظبط ؟

– بنتين إخوات، واحده 14 سنة، والتانيه 18 سنة، الإتنين ماتوا، أهلهم قالوا إنهم كانوا من فترة بيعانوا من حالة اكتئاب وبيحبسوا نفسهم في الأوضة كتير، بقالهم تلات أيام لا بياكلوا ولا بيشربوا، وجابلهم عبد الفتاح على اعتبار إنه طبيب، ولكنه عالِم في علم الروحانيات، شيخ يعني علشان يقراهم، وشوية الكلام الفارغ اللي انت عارفه ده، وهو طلب من الأب إنه يسيبه معاهم، وبعد ساعتين أبوهم سمع صوت، جري على فوق،

فلقى كل واحدة ميّتة في أوضتها وعبد الفتاح مغمى عليه، اتصل بينا، آدي الموضوع كله.

حينما وصل أحمد، وخالد للمكتب كان عبد الفتاح جالسًا يُفكّر، لم يكن شرب من العصير الذي أمامه، ولا تناول أيًّا من الساندويتشات التي قد أمر أحمد باحضارها له، كان يبدو عليه أنه غير مُصدّق لكل ما حدث، وبدا ذلك من نظرة التلهّف التي ارتسمت على وجهه حين رآهما، كطفل تائه وجد أمه بعد أن فقد الأمل في أن يجدها ثانية .

أسرع خالد بالسؤال :

– عبد الفتاح فيه إيه ؟

– مش عارف .

سأل خالد مرة أخرى :

– يعني إيه مش عارف ؟ إنطق إيه اللي حصل إنت متهم في جريمة قتل مزدوجة، صحيح مفيش دليل، بس انت آخر حد كان موجود.

رد عليه عبد الفتاح في ذهول:

– هما فعلا ماتوا ؟

استوقفه أحمد بسؤاله :

- إنت مش فاكر إيه اللي حصل؟

رد عد الفتاح :

- أنا مش عارف ايه اللي حصل، انا شفتهم طايرين، وفجأة أغمى عليّا، وصحيت على وجود الشرطة والإسعاف، أنا مش فاهم حاجة، انا عاوز قهوة سادة.

استدعى أحمد أحد العساكر، وطلب منه ثلاثة فناجين من القهوة، ثم بدأ بالحديث :

- بُص يا عبد الفتاح أنا مش بحقّق معاك، أنا عاوز أفهم إيه الموضوع من الأول، أنا متأكد إنك معملتش حاجة بس لازم أفهم إيه اللي حصل، إيه أصلًا اللي وداك هناك ؟

ظل عبد الفتاح صامتًا للحظات، ثم بدأ يروي ما كان يذكره:

- إنتوا عارفين إني ليّا في فك الأعمال، وكشف السحر والحاجات دي، إمبارح اتصل بيّا واحد اسمه محمد عبد الله، أنا معرفوش، بس قالي: إنه جاب رقمي من ناس أنا ساعدتهم قبل كده، وإن بناته بيشوفوا حاجات مش طبيعية من فترة، وإنهم بدأوا يوقفوا الأكل، والشرب من تلات أيام وكل واحدة قاعدة في أوضتها مبتتكلمش، اديته معاد الساعة 9 الصبح ورحتله النهارده، في فيلا في المنيل على النيل، من أول ما دخلت وانا

حاسس بوجود حاجة مش طبيعية، بمجرد ما لمست الباب شفت الشر اللي جوه، كانوا مش طبيعين.

قاطعه أحمد :

– هم مين؟

– سكان البيت، مش الراجل ومراته، سكان البيت، عمار المكان، المكان كان فيه عفاريت.

قاطعه أحمد بحدة:

– عفاريت تاني !

رد عبد الفتاح :

– دي الحقيقة.

بدأ أحمد يتذمر ولكن قاطعه خالد :

– خليه يكمّل، كمّل يا عبد الفتاح.

فاستطرد عبد الفتاح :

– أنا طلبت أشوف البنات لوحدي، لما طلعت على السلم لقيت أربع أوض، الأوضة اللي على السلم كانت للبنت الصغيرة،وفي أوضة مقفولة بعدها، وبعدين أوضة البنت الكبيرة، وبعدها أوضة الراجل ومراته .

سألت الأستاذ محمد الأوضة اللي مقفولة دي بتاعت مين؟، قالي مش بتاعت حد، دي أوضة مقفولة من أيام والدي الله يرحمه وهو موصّي إن محدش يفتحها أبدًا،وقالّنا دي إمانة،شفت البنات، وبدأت أقرا قرآن عادي يعني علشان أكشف لو في حاجة، فضلوا يصرخوا، وبعدين أُغمى عليّا.

قاطع خالد الحديث:

– إحنا نقدر نروح البيت ده إمتى ؟

رد أحمد :

– دلوقتي حالًا لو حبيت.

فاجأهم عبد الفتاح:

– عاوز أروح معاكم، أرجوك يا أحمد.

***

كانت نيفين تستعد للذهاب لعملها، كانت الساعة قد أوشكت على الثالثة مساء، لا تعلم كيف نامت كل هذا الوقت، كما لم تكن تعلم لماذا عاودت هذه الكوابيس الظهور مرة أخرى،جلست تتحدث مع والدها وهي ترتدي حذاءها الرياضي، وتروي لها ما رأته بالحلم، كان حلمًا غريبًا، حلمًا جاء في وسط الكوابيس، عن جدها رحمها الله، فقد رأها تحكي لها شيئًا ما عن صندوق، فقاطعها والدها:

– صندوق إيه؟

ردّت نيفين باستخفاف مُصطنع:

– معرفش، قالتلي الصندوق ده أمانه، ولازم يفضل معاكي، فيه الحاجة اللي هاتحميكي، والأمانة لازم تفضل معاكي لحد مايبجي وقت وتسلميها لصاحبها.

لم يرد أيٌّ من والديها، ولكن بدا الارتباك واضحًا على معالم والدها، فلقد كانت نيفين تروي نفس الحلم الذي رآه من يومين، مما جعله يتصل بدكتور خالد متسائلًا:

أين الصندوق ؟*

همت نيفين بالخروج متجهة للعمل، كانت تدرس بإحدى الكليات الفنية، كانت مرحة، مُحبّة للحياة، اجتماعية جدًّا، محبوبة، متواصلة، ناجحة، إلى جانب أنها متميزة نوعًا في عملها، ركبت سيارتها وتحركت متوجهة للمكان الذي تعمل به، حتى وصلت لعملها.

همّت بالخروج من سيارتها، ولكنها لمحت في مرآة السيارة شعرًا لشخص جالس خلفها، نظرت سريعًا للخلف فلم تجد أحدًا، التقطت أنفاسها، وضحكت ضحكة مرتفعة نوعًا ، لم تكن قط تتخيل أن أحلامها قد تخيفها لدرجة التخيل .

---

* لقد وجد خالد هذا الصندوق في الجزء السابق .

في هذه الأثناء كان الثلاثة قد وصلوا للمنزل، وما إن رأى والد البنتين عبد الفتاح إلا، وبدا على وجهه معالم عدم الترحيب به ، ولكن أسرع أحمد بالحديث قبل هجومه:

- أستاذ محمد، أنا مُقدّر اللى حضرتك فيه بس لو سمحت عاوزين نعاين البيت مرة كمان، ويا ريت تكون معانا.

لم يكن المنزل كبيرًا لدرجة إطلاق مسمى فيلا، ولكنه كان على هذا الطراز، منزلًا من طابقين، الطابق الأسفل يحتوي على أنتريه وصالونين وبيانو قديم، وسفرة كبيرة، تقريبا 12 كرسيًّا، الحائط المقابل للمنزل كله بلاطات مرآة تعكس المساحة جميعها، الإضاءات كلها صفراء غير مباشرة، مما يجعل الضوء خفيفًا نسبيًّا ولكن بشكل ترتاح معه العين برغم لونه، على الجانب الأيسر كان هناك سلم خشبي عريض بدا عليه القدم يوصل للطابق الثاني، بالطابق الثاني غرفة عند نهاية السلم.

دخلوا الغرفة،كانت الغرفة كئيبة جدًّا،والستائر مُغلقة، كانت هناك رائحة تنبعث منها توحي بأن الغرفة لم يدخلها الهواء منذ أسبوع تقريبًا، كان لون الحوائط رماديًّا باهت بدا عليه أن الحجرة لم يتم طلاؤها ربما من ما يقرب لخمسين عامًا، وسريرًا يتوسط الغرفة، ودولابًا على الجانب، وأمام السرير تسريحة كبيرة

بها مرآة كبيرة ربما صنعت بالطلب الخاص لتناسب هذه المساحة الكبيرة، المرآة متفتتة على الأرض بأكملها مما يوحي أنها انفجرت دون باقي الحجرة، بجوار هذه الحجرة حجرة أخرى تم غلقها بقفل كبير، ثم حجرة أخرى كانت بنفس مواصفات الحجرة السابقة،إلا أن المختلف أن هناك الكثير من الدماء المتخثرة حديثًا على أرضية الغرفة، رجعوا إلى باب الغرفة المغلق، رأوا قفلًا غريبًا من النحاس وقفلًا آخر من الفضة حجمهما كبير بشكل بالغ، بالنظرة الأولى على القفلين شعر كل من الثلاثة "أحمد وخالد وعبد الفتاح" أنهم رأوا مثلهما مسبقًا، مما جعل خالد يقطع الصمت:

- فين مفاتيح الأقفال دي؟

رد صاحب المنزل :

- معرفش، الأوضه دي من أيام والدي، ووالدي الله يرحمهم ما أجروا البيت وهي مقفولة، وهمّا وصّونا أن محدش يفتحها.

قاطعه أحمد :

- بس أنا لازم أشوف الأوضة، المرايات اللي ضهرها للأوضة متفجّرة، متفتفتة على الأرض قدامك، ولا مش عاوز تعرف إيه اللي حصل لبناتك ؟

تدارك صاحب المنزل دموعه التي صرخت في عينيه، وهمّت بالانفجار، ثم قال :

– لحظة واحدة أشوفلك المفتاح.

ذهب لحجرته، وعاد بصندوق خشبي متوسط الحجم، بالغ القدم، مُرصّع ببعض الأحجار، وفتحه مُخرجًا حلقة كبيرة بها خمسة مفاتيح غريبة الشكل ذات حجم كبير نوعًا، تناول أحمد الحلقة من يديه وبدأ يجرب المفاتيح بينما انصرف نظر خالد وعبد الفتاح للصندوق، ثم نظرا لبعضهما البعض نظرة تشوبها الريبة، حتى سمعا صوت فتح القفل الأول، ظل أحمد يجرب حتى انفتحت الحجرة ، كانت حجرة كبيرة جدًّا ، حين تدخلها في البداية تظن أنك دخلت منزلًا صُمِّمَ خِصيصًا ليكون كُتَّابًا، منبرين كل منهما متكيء على حائط كان مقابلًا للمرآة في الغرفة التي بجانبه، وملاءات بيضاء تغطيهما، والحجرة برغم عدم فتحها كانت نظيفة وبرغم أن نافذتها غير محكمة الإغلاق، ولكن كانت تفوح منها رائحة غريبة جعلت أحمد يضع يديه على أنفه، بينما أضاف صاحب المنزل لمسة رائعة كانت محكمة الصنع عندما ، قال:

– يا ساتر إيه الريحة دي ، ده ولا ريحة الزرنيخ .

فاجأه أحمد بنظرة كانت أشبه بالصاعقة جعلته يسأل:

- هو أنا قلت حاجة غلط ؟

قاطعه خالد :

- هو حضرتك ممكن تسيبنا لوحدنا شوية ؟

- طبعًا، هاعمل شاي.

بدأت تشوب الجو نظرات مختلفة من الريبة والشك والتشكك من كل شيء ، حتى قطع أحمد هذا الجو متسائلًا :

- هي ذي ريحة زرنيخ ؟

أجابه خالد:

- الحقيقة آه، هي فعلًا ريحة زرنيخ .

سأل أحمد :

- أنتوا قولتولي قبل كده إن ريحة الزرنيخ دي من باطن الأرض، إيه اللي هايجيبها هنا ؟

رد عبد الفتاح بمنتهى الوضوح :

- اللي موجودين في باطن الأرض .

نظر إليه أحمد ، ثم قاطعهم صاحب المنزل :

- اتفضلوا الشاي .

سأله خالد :

– أستاذ محمد حضرتك قلت إن والدك، ووالدتك اللي قافلين الأوضة ؟

رد عليه :

– لأ، الموضوع ده قديم.

سأله أحمد :

– يضايقك لو عرفناه ؟

التقط صاحب المنزل أنفاسه ثم قال :

– اتفضلوا نقعد تحت وهاحكيلكم، ولو إني مش فاهم إيه اللي ممكن يكون ليه علاقة ببناتي الله يرحمهم .

بدأ التوتر على وجه الجميع، بينما أردف صاحب المنزل قائلًا:

– أبويا أجّر البيت ده في الخمسينيات، كنت أنا ساعتها صغير، بالمناسبة أنا الكبير وكان أخويا ساعتها عنده سنة تقريبًا، كل اللي فاكره أن والدي كان لقى شغل هنا في القاهرة، وكان ليه واحد بلدياته من طنطا، عنده البيت ده ومش عايش فيه فعرض عليه انه يأجّره لكن صارحه بإن البيت ده فيه حاجة غريبة، وطلب منه إنه مايفتحش النور، ولا يبقى فيه صوت بعد الساعة 12، وان الأوضة دي تفضل مقفولة لا حد يفتحها ولا حد يدخلها علشان إحنا مش عايشين لوحدنا، أمي كانت خايفة

لكن كانت إمكانياتهم ساعتها مفيش، وهو قاله عندك مهلة شهرين من غير إيجار لو ناسبك الوضع ابدأ ادفع، فمكانش قدامهم حل أحسن من كده، بدأنا نعيش، الأول لو كنا فضلنا صاحيين كنا نسمع صوت وخبط، نتفزع، ونطلع جري ننام، لكن بعد كده بقينا ملتزمين بالعهد، إلا حاجة واحدة فضلت تحصل طول الوقت، إننا لما يأذّن الفجر نلاقى السراير بتترج، نقوم نصلي ونبدأ يومنا، أنا كنت بنام في الأوضة اللي جنبهم أنا وأخويا، ولما اتجوز أخويا خرج من البيت، قال مش عاوز أعيش هنا وبعدين أنا اتجوزت في أوضتي، وفضل ده الوضع، آخر مرة شفت فيها أبويا قبل ما يموت كان وهو مسافر الحج مع أمي ووصّاني إن الأوضة دي تفضل كده،وأفضل على العهد، سافروا لكن مرجعوش، حادثة العبّارة لو فاكرينها....

قاطعه عبد الفتاح :

- الله يرحمهم .

سأله أحمد :

- أمال إيه اللي حصل ؟

استطرد صاحب المترل حديثه :

– أبدًا، عشنا شوية، وبعدين نسينا، إنت عارف لما بيكون عندك بنات في سن مراهقة، بنسهر نرغي، نتكلم، نتفرج على حاجة سوا، ساعات كنا بنسهر برّه ونرجع على الساعة واحدة أو اتنين، مكانش فيه حاجة بتحصل، صراحة أنا قلت خلاص، لكن من أسبوع أو أكتر شوية لقيت البنات قاعدين هنا وبيبصوا للسقف، قلتلهم فيه إيه، قالولي ايه الدم ده، بصيت مالقيتش حاجة، قلتلهم إنتوا بتشتغلوني وهزرت معاهم، أنا كنت فاكرهم بيهزّروا، بعدها بيوم سمعت صوقم بيتخانقوا، صحيت من النوم بصيت عليهم لقيت كل واحدة نايمة في سريرها، قلت يمكن كنت باحلم، محطّتش في دماغي، لكن اتكرّر الموضوع ده تلات مرّات، ولقيت البنات بدأوا يحبسوا نفسهم في الأوض، مش عاوزين يتكلموا، ولا ياكلوا ولا يشربوا معانا، كلمت واحد صاحبي كان عند مراته حاجة كده، إدّاني رقم تليفون الشيخ عبد الفتاح...

قاطعه أحمد:

– وبعدين ؟

أكمل صاحب المترل حديثه :

- جه الشيخ عبد الفتاح، طلعته فوق، وقف في الطُرقة اللي قدام الأوض وقعد يقرا قرآن، لقيت البنات فجأة عمّالين يصرخوا، بعدها فتحوا الباب وكل واحدة فيهم وقفت على باب أوضتها وهو قالي إنزل تحت وفضل يقرا ، أنا نزلت لما لقيت البنات هديت، وسيبتهم، بعد يجي ساعتين لقيت صوت التكسير، والبنات بيصرخوا طلعت لقيت نُهى في أوضتها على الأرض والدم مغرق الأوضة، ونسمة طايرة في الهوا قدام المراية في أوضتها وفجأة وقعت على الأرض مبتطلعش نفس وهو مغمى عليه،حاولت أفوّقهم محدّش فيهم كان بيتنفس،إتصلت بالإسعاف وبالبوليس، جم تقريبًا مع بعض، وحضرتك عارف اللي بعد كده.

- قالها وهو ينظر لأحمد.

نظر الجميع له محاولين مواساته ثم أطلق خالد مفاجأة :

- بس الصندوق اللي كان في إيدك ده منين ؟

انتبه أحمد، وعبد الفتاح للسؤال في ترقب للإجابة.

- ده بتاع صاحب البيت الأصلي، إدّاه لبابا الله يرحمه، وقاله المفاتيح بتاعت الأقفال لازم تفضل في الصندوق ده.

فاجأهم خالد مرة أخرى :

– ممكن أشوف الصندوق والمفاتيح والأقفال لو سمحت ؟

– طبعًا، لحظة واحدة.

توجه صاحب المنزل للأعلى لحظات، وعاد حاملًا الصندوق.

نظر له أحمد، غير مُصدّقٍ، فمن المستحيل أن يكن هناك نسختان من نفس الصندوق، كما أنه من المستحيل أيضًا أن يكونا لصانعينِ مختلفينِ، بدا الصندوق بنفس مواصفات الصندوق الآخر، نفس الزخارف والنقوش، نفس الأحجار التي تُرصّعه، حتى نفس الحرفين المنقوشين عليهما (ج، س)، كيف لهذه المفارقة أن تحدث ؟!

قاطع عبد الفتاح هذا الصمت قائلًا :

– ممكن أشوف المفاتيح، والأقفال ؟

رد عليه صاحب المنزل:

– اتفضل .

نظر أحمد إلى ما في يد عبد الفتاح، ثم قال:

– نفس الصندوق، ونفس الأقفال، ونفس المفاتيح.

قاطعه خالد :

– بالظبط، إلا إن الصندوق ده أصغر بكتير من التاني .

مر يومان على نيفين، وهي ترى نفس الكوابيس المرعبة، وبين كل الكوابيس يأتي نفس الحلم، الأمانة، الصندوق، لم تكن تعرف ماذا تفعل، ولمن تذهب، كانت مُنفعلة نوعًا، ولكن كان من المنطقي أن تصمت، فما من أحد يمكن أن يصدق أن أحلامك تطاردك في صحوك، ولكن الفرق بين نيفين وبين أي شخص آخر، أنها كانت تعرفهم تمامًا، لم تكن هذه المرة الأولى ولكنهم كانوا قد اختفوا منذ فترة.

جلست نيفين تقرأ في كتاب ما ربما يحوي عددًا من القصص الرومانسية القصيرة، كانت برغم تفاعلها العملي جدًا، ذات نزعة رومانسية وحس مرهف.

انطفأ النور فجأة، لم تستطع التنفس، الرعب يسود المكان، العالم يتوقف من حولها، لا تسمع شيئًا سوى نفس شخص ما بخلفها، من هو هذا الشخص؟، كيف دخل إلى حجرتها؟ ماذا يريد؟ نفسه يقترب أكثر، يقول شيئا ما بصوت متحشرج.

انتفضت من مكانها حين شعرت بلمسة باردة على كتفها الأيسر، ولكن، سرعان ما ارتعب هو، شعرت به هكذا حين شعرت بسرعة ابتعاده، رأت ضوءاً ما في بؤرة بعيدة، سمعت صوتًا يقول لها: الأمانة، الصندوق.

خطوات أقدام منتظمة تأتي من بعيد،توقفت فجأة، ثم عاودت المجيء مرة أخرى ، تُرى لمن هذه الـ......

– اصحي يا بنتي، مالك اليومين دول؟ عندك محاضرة بدري والساعة بقت 10.

– ماما، صباح الخير.

قاطعتها والدها بقلق شديد :

– مالك يا نيفين؟ فيه إيه ؟

ردت نيفين بتجهم شديد:

– مش عارفة يا ماما، واضح إني لازم أروح لدكتور، متهيألي محتاجة تاني أتكلم مع حد.

ردّت أمها بلهجة يشوبها بعض التأنيب والتذكير:

– ونرجع تاني للمهدّئات، والمنوّمات وأدوية الاكتئاب؟، يا بنتي قومي صلي وروحي شغلك وقولي يا رب، ولو فيه حاجه اتكلّمي معانا، مش هاتلاقي حد يخاف عليكي زيّنا.

– يا رب.

كان الرد باهتًا فعلى الرغم من أن والدها تعلم، وتُدرك كل شيء فإنها تُصر على عدم التصديق، فلفظ ملبوسة أفضل بكثير اجتماعيًّا من لفظ مجنونة .

نهضت نيفين إلى الحمام لتأخذ حمامًا ساخنًا ربما يساعد في إزالة توترها، وبدأت بخلع ملابسها، غير أنها صرخت من الألم فجأة حينما لامست ملابسها الحرق الذي يعتلي كتفها الأيسر، حرقًا غريبًا لم يكن بها من قبل، حرقًا بدا أنه جديد، حرقًا يشبه الشوكة، ربما هو أشبه بشكل الأوردة والعروق التي تراها تحت كف اليد في منطقة الرسغ من الداخل، شيء ما يشبه ما يدعي الغرب في الأفلام أنها شوكة الشيطان، ربما V مكرّرة مرتين مشتركتين في الضلع الذي بالمنتصف، لم تذكر أي شيء قد يكون هو قد سبب هذا الحرق، إلا شيئًا واحدًا، كيف تستطع هذه اللمسة الباردة حرقها من الحلم؟ ظلت صامتة لبرهة، ثم ارتدت ملابسها وخرجت على الفور.

ذهبت نيفين لوالدها الذي كان يشاهد برنامجًا إخباريًّا صباحيًّا كعادته، وهو يتناول فطوره قبل خروجه للعمل ، فقاطعته قائلة:

- بابا.. كنت عاوزه رقم تليفون دكتور خالد.

نظر إليها والدها في حال صدمة من طلبها المفاجيء قائلًا:

- خير.. في حاجة؟

- آه.. كنت بكتب قصة لمسرح الكلية، عن حادثة غريبة، وبما إنه دكتور، وكاتب فأكيد هينفعنى، وكمان علشان بحضّر لبحث الدكتوراه، حاجة تخص العلاج والفنون، يعني.

لم يجد مخرجًا من تنفيذ طلب ابنته بعد التبرير غير المقنع، ولكنه كان مضطرًّا، فأجابها:

- حاضر، اكتبي.

بعد أن أخذت نيفين الرقم توجّهت لعملها، ولكنها لم تكن متيقنة من أنها تستطيع العمل اليوم، فكل طرق التفكير لديها متوقفة عن العمل الآن، لا بد أن يكون هناك تفسير منطقي عند دكتور خالد،فمن المؤكد أن صندوق حلمها هو نفس الصندوق، قاطع تفكيرها نقطة من العرق تساقطت من رأسها، عرق ؟

في مثل هذا الوقت من العام؟ درجة الحرارة حوالي 25 درجة مئوية قابلة للنقصان، عرق وهي ترتجف من البرد، لم تعر هذا اهتمام ومسحت جبهتها بيديها ولكن، ما هذا الشيء ؟ ما هذه الرائحة ؟ يا لها من رائحة تبعث على الغثيان !

حين وصلت لمكتبها كانت إحدى زميلاتها موجودة بالمكتب، همّت بالسلام عليها، فتقريبًا لم تكن رأتها منذ أسبوع، سلّمت عليها، وأتت لتُقبّلها، ولكنها انتبهت للرائحة، فسألتها:

– إيه ده إنتِ كنتِ عاملة حمام زيت؟

ردّت عليها نيفين :

– آه.

فأردفت زميلتها :

– اغسلي شعرك كويس يا بنتي، إيه ده زرنيخ ؟

لم تعر نيفين زميلتها أي اهتمام، إلا أن شكوكها بدأت تزيد دقيقة بدقيقة .

***

كان أحمدو وخالد يتناقشان مع عبد الفتاح الذي خرج من القضية بنعمة من الله، فقد جاء بتقرير الطب الشرعي أن إحدى الفتاتين قد قتلت نفسها بشق وريد الرسغ الأيمن بقطعة من زجاج المرآة باتت في يدها اليسرى، بينما الفتاة الثانية كانت قد أصيبت بأزمة قلبية مفاجئة أدت إلى وفاتها، ولكن كلًّا منهم يعلم أن ما حدث أكيد كان غير ذلك .

كان كل النقاش حول مضاهاة الصندوقين، التماثل بينهما كان بالغ الإحكام، كل شيء هو نفسه عدا الحجم.

قال عبد الفتاح :

– شيلوا الكتب من الصندوق الكبير كده.

فقام خالد بتفريغ الصندوق، ونظروا إليه فقال عبد الفتاح:

– أهوه.. في هنا تجويف جوه الصندوق الكبير.

ثم قام بوضع الصندوق الصغير داخل الكبير فكأنه عاد لمكانه الأصلي، تفاجأ كل منهم....

ثم أردف عبد الفتاح:

– طيب لو افترضنا إن الصندوق الصغير مكانه هنا جوه الصندوق الكبير، طيب التجويف اللي جوه الصندوق الصغير ده إيه؟

قاطعه خالد :

– إنت عارف ده معناه إيه ؟

سأله أحمد :

– معناه إيه بقى ؟

رد عليه خالد وهو مستاء من أسلوبه التهكمي في مثل هذه الظروف:

- إن الكتب دي مش هي اللي المفروض تكون جوّه الصندوق، فيه حاجة تانية مكانها هنا.

لم يرد أيٌّ من أحمد وعبد الفتاح على كلام خالد، غير أن التوتر بدا ظاهرًا على عبد الفتاح كثيرًا حينما تذكّر يومه وحده مع الصندوق، لم يخبر أحدًا ولا حتى زملائه بالكارثة، كل ما كان يخشى منه هو انكشاف السر،السر الذي لا يعلم ما هو بالضبط، ولكنه متيقن من أنه إذا كُشف سرٌّ قُتل صاحبه.

قطع تفكيرهم اتصال على الهاتف المحمول الخاص بخالد، سأله أحمد بفضوله المشهود:

- مين ؟

- معرفش رقم غريب.

- طيب رد.

رد خالد على هاتفه المحمول:

- آلو مساء الخير.

رد عليه صوت نسائي لا يعرفه:

- مساء النور يا دكتور خالد، أنا نيفين بنت أستاذ "ك".

رد خالد مندهشًا:

- أهلًا وسهلًا.

- عارفة ان اتصالي غريب، وغير متوقّع، بس الحقيقة المُرة دي أنا اللي عاوزة أفهم منكم حاجات.

رد خالد متعجبًا الجملة:

- مننا؟

- ياريت نتقابل.. ممكن أستناكوا في نفس المكان اللي قابلتوا فيه بابا بعد قد إيه؟

- ممكن بعد ساعة .

- هستناكم.

انتهت المكالمة الغريبة وبدا الاندهاش من هذه المكالمة على وجه خالد ، إلا أن نفس الرقم كان يدق هاتفه من جديد :

- دكتور خالد ممكن طلب ؟

- طبعًا اتفضلي؟

- ياريت تجيبوا معاكم الصندوق، مش مهم اللي فيه بس الصندوق، واللي تشوفه ممكن يكون مهم ، مع السلامة.

ابتسم خالد فور إغلاقه الخط، وقال:

- دي نيفين بنت أستاذ "ك"، صاحب البيت بتاع شبرا، عاوزه تقابلنا دلوقتي،بس مش عاوزانا لوحدنا، عاوزه الصندوق معانا.

- نظر إليه كلًّا من عبد الفتاح وأحمد في دهشة من الأمر، ولكن لم يرد أحدا منهما ، فقطع خالد اندهاشهما:

- يلا بينا ؟

***

وصل كل من أحمد وخالد وعبد الفتاح لهذا المقهى النوبي الذي أصبح على الأغلب المكان الرسمي للمقابلات الغريبة، وفور دخولهم قابلهم شخص ما يعمل بالمكان، وأوصلهم للمكان الذي عليهم التوجه إليه وهو يقول:

- الآنسة نيفين وصلت، ومستنياكم، اتفضلوا.

قالها، وهو يرحب بهم ، ثم سألهم في تودد:

- تحبّوا تشربوا حاجه دلوقتي ؟

قاطعته نيفين :

- أعتقد كلنا هانشرب قهوة، وبعدين الطلب التاني بقى عند دكتور خالد .

ضحك خالد ضحكة طفولية مجاملًا نيفين ، وقال:

- لأ الطلبين عليكي إنتِ اللي طلبتي المقابلة، هههههههه.

ابتسمت ابتسامة لطيفة ثم قررت بدء الحديث:

- إنت تؤمر يا دكتور بس قولّي بقى فين اللي اتفقنا عليه ؟

رد خالد :

- موجود في شنطة العربية، إحنا بس الأول عاوزين نتعرّف عليكي ونفهم الدنيا فيها إيه .

لمحت نيفين في نظرة خالد، وحديثه تلميحًا لشيء ما، لم يضايقها بل على العكس ، وردّت عليه:

- إنت بتعاكس ولا إيه يا دكتور.

- بصراحة آه.

قالها خالد، وهو مبتسم مما جعل الحمرة تدب في وجنتيها، للحظة نسيت أن معهما شخصين آخرين ينظران الأمر، فازدادت الحمرة وبدت واضحة على وجهها، كان خالد يقصد ما قاله تمامًا، فهي فعلًا لافتة بجمال طبيعي ولكنه أخاذ، وشعرها الناعم المنسدل على كتفيها، ولون بشرتها الخمري الفاتح، مع عينيها الفاتحتين، لا تدري من أين جائت هذه التركيبة ؟ إنها ملامح شرقية جدًّا ولكنها أشبه بملامح نجمات السينما الهندية، صوتها الناعم ولفتاتها المتحفّزة، هي ببساطة خليط ممتزج بكفاءة تفوح

منها رائحة عطر الورود، طلاء أظافرها الوردي المحكم بدقة يزيد نعومة يديها جمالًا، لما جعله يتساءل للحظة: ما الذي جعله مضربًا عن الزواج حتى الآن ؟ فاجأها بسؤال :

- هو إنتِ برج إيه ؟

- أكيد واضح جدًا إني ميزان زيّك .

سألها بتعجب :

- عرفتي منين ؟!

إحنا بنلعب نفس اللعبة بالكلام من ساعة ما وصلت.

الجمع في حديثها ذكّره أنه ليس بمفرده معها، فتدارك الأمر بابتسامة لطيفة وأردف قائلًا :

- طيب يلاّ نبدأ لعب بجد بقى، ها ، إيه اللي عندك ؟

ابتسمت ابتسامة أجبرت شفتيها على أن تتسعا ثم قالت :

- الصندوق.. أنا ماشفتوش بس متأكدة إني أعرف شكله، مش عارفة هايبقى كلامي طبيعي ولا لأ.

قاطعها أحمد :

- لأ طبيعي جدًّا، بالنسبة للموضوع ده فكل حاجة غريبة هاتبقى طبيعية، قولي.

نظرت إليه نيفين ثم نظرت للأرض، وهي تُكمل :

- جدتي جاتلي في الحلم .

قاطعها عبد الفتاح :

- وإيه الغريب في كده ؟

قاطعه خالد :

- جدهًا تبقى صاحبة البيت بتاع شبرا.

فرد عبد الفتاح :

- بيت العفاريت، تمام.

نظرت إليه نيفين نظرة لوم على ما اعتبرته إهانة، ولكنها أكملت:

- آه بيت العفاريت، المهم، إنها قالتلي إني لازم ألاقي الصندوق، وإنه أمانة، ولازم يكون معايا لحد ما أردها لصاحبها، مش مهم باقي اللي حصل في الحلم لكن المهم...

قاطعها خالد بسرعة بالغة:

- لأ مهم، كل حاجة مهمة بالذات في الأحلام يا نيفين.

شعرت نيفين بحرج شديد برغم عدم وجود ما يحرج، ولكن لوهلة شعرت بأن اسمها ينبض "لأول مرة" بالحياة، فنظرت لعينيه ثم قالت بارتباك شديد :

- دكتور خالد كل اللي...

قاطعها خالد مرة أخرى قائلًا :

- نيفين يا ريت بلاش ألقاب، اتفضلي.

ردت نيفين متجاهلة ما قاله تماما:

- مفيش حاجة غريبة حصلت غير إني حسيت بحد واقف ورايا و..

قاطعها عبد الفتاح :

- واحده ست شكلها غريب ؟

ردت باستغراب :

- لأ، ماشفتش بس الصوت مكانش صوت ست، كان صوت مبحوح جدًا، مقدرش أميّز منه جنس أو شكل أو حتى سن، وإيد ساقعة جدًا لمست كتفي.

قالتها وهي تشير لكتفها الأيسر، مما جعل الشال الذي كانت ترتديه أن يتراح قليلًا فظهر على كتفها ذلك الحرق الذي أصبح كوشم يزين كتفها ويزيده روعة .

أكملت نيفين بعد لحظة صمت :

– لقيت على كتفي حرق غريب لما صحيت من النوم، مكان اللمسة دي ، وبعدين ات.....

قاطعها خالد:

– هو ده الحرق ؟

انتبهت لسقوط الشال فرفعته في استحياء وخجل مثير وأردفت :

– أيوه ، وبس ... كلمتكم.

فاجأها خالد بسؤال بدا غريبًا :

– الصندوق معانا في العربية بس تفتكري ممكن نشوفه هنا قدام كل الناس؟ نيفين هايضايقك لو شفناه في البيت ؟

ترددت قليلًا ولكنها قرّرت الموافقة قائلة :

– يلاّ بينا.

همّت بفتح محفظتها، ولكن قاطعها أحمد:

– بتعملي إيه، إنتِ مع رجّاله.

فنظرت إليه ثم قالت :

– أنا اللي طلبت المقابلة.

ضحك خالد، وهو يضع مبلغًا من المال على الطاولة تحت طبق القهوة وقال:

– يلاّ بينا.

همت بالتوجه لسيارتها، ولكن خالد استوقفها قائلا :

– تعالي معانا وهاوصلك للعربية تاني.

تبعته دون رد، كمن كان ينتظر مثل هذا العرض.

كان الحديث في السيارة لمجرد التعارف، ماذا تفعل في حياتها؟ وكل منهم يسرد صعاب عمله، حقيقة كان أحمد وعبد الفتاح مستوعبين ما يحاول صديقهم الثالث فعله فقررا أن ينشغلا بحوار جانبي تاركين الفرصة لهما لاستثمار الوقت.

فتح خالد الباب، وهو يقول :

– اتفضلي، بيتك .

ردت عليه بمنتهى الذكاء :

– مُريح فعلًا زي بيتنا.

–

رد خالد:

- اتفضلوا يا جماعة، طبعًا انتوا مقيمين هنا مش محتاجين عزومة.

فنظر اليه أحمد من خلف نيفين، وهو يغمز بعينيه:

- نمشي يعنى ولا إيه ؟

فردّت نيفين قائلة بمكر أنثوي غريب:

- لا ودي تيجي، زي بيتك طبعا.

كان عبد الفتاح يحمل الصندوق فوضعه على الأرض بينما ساعده خالد وهو يقول:

- تشربوا إيه ؟

ضحك أحمد وهو يلقي دعابة ذات معان كثيرة :

- تلاته شباب ومعاهم بنت زي القمر، يبقى أكيد مش **I d** ويا ريت مش **10**%.

ضحكت نيفين قائلة:

- بنت آه بس بميت راجل ، يلاّ نبدأ بقى.

نزلوا إلى الأرض بجوار الصندوق وبدأ عبد الفتاح بالحديث :

- آدي الصندوق يا ستّي، زي مانتي شايفه، قديم جدًا، بتوع الطب الشرعي قالوا إنه من حوالي **300** سنة، لكن أنا باقول إنه أكتر من كده.

ردّت نيفين متعجّبة :
- الصندوق ده بقاله 3000 سنة ؟!

ثم صمتت قليلًا، ونظرت لعبد الفتاح سائلة:
- هي بتقولك إيه ؟

ردّ خالد بينما كان عبد الفتاح مذهولًا من سؤالها :
- هي مين ؟

ردت نيفين بثبات قائلة، وهي مازالت تنظر لعبد الفتاح :
- اللي معاك .

ظل عبد الفتاح صامتًا في ذهول، بينما نظر أحمد لخالد في تساؤل مما جعلهما جميعًا متحفزين، واضطر خالد للسؤال مرة أخرى :
- ممكن نفهم في إيه ؟

ردت نيفين بطريقة بدت غريبة :
- إحنا اتفقنا إن مفيش حاجة غريبة في اللي هانقوله ، تمام ؟

رد خالد :
- تمام.. في إيه بقى ؟
-

أكملت نيفين دون إشاحة نظرها عن عبد الفتاح:

- كل واحد فينا ليه قرين، البنت ليها قرين، والولد ليه قرينه، كلهم من نسل إبليس، علشان تقدر تستدعي قرينك، فلازم تكون عارف اسمه، وتكراره، واسم السورة اللي ليها الحكم عليه.

قاطعها أحمد :

- وأنا هاجيب المعلومات دي منين ؟

ردت نيفين :

- ببساطة لو كنت قريت أول تلات ورقات في أول كتاب كان في الصندوق الكبير كنت هتعرف .

رد خالد في تعجب مما بدا على نيفين من تغيّر في لهجتها :

- نيفين يا ريت تقولي اللي تقصديه بالظبط.

فردت نيفين :

- مش لو كنت أنا اللي بتكلم أصلًا.

ثم انتبهت لحديثها فاستكملت :

- اسم القرين بيجي بأربع طرق،أسهلهم وأكثرهم استخدام هي طريقة إنك تجيب حروف اسمك وحروف اسم والدتك وتاريخ ميلادك بعد تحويله بعلم الجفر الرقمي لحروف، وتحطهم كلهم بمعادلة الأرقام الجفرية.

قاطعها أحمد:

- جفريه ؟

أكملت نيفين:

- حروف اللغة العربية ليها ترتيب أصلي وهو الأبجد هوز، تعرفوه طبعًا.

أجاب خالد :

- مش بالظبط.

أردفت نيفين :

- كان الترتيب للحروف هو: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، يقال إن هذه الكلمات أسماء ملوك مدين، وكلمن كان رئيسهم، اللي هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام، أما باقي الحروف اللي بالأسماء التانية فسميت الروادف.

الحروف دي بتتاخد لكل منها بالترتيب ده رقم، في خانات تشبه العداد الصيني يعني من رقم **1** لرقم **10**، وبعدين من **100** ل **1000** وهكذا، ده ببساطة، وده علم اسمه الجفر الحرفي، وبالتالي فتاريخ ميلادك إذا كان مثلا **17** شهر **10** سنة **1981** مثلا فهتاخد الحرف اللي رقمه **7** وبعدين اللي رقمه **10** وبعدين

10 تاني وبعدين 1 وبعدين 80 وبعدين 900 وبعدين1000، كده تبقى حولتها لحروف، الحروف ليها طبيعه تابعة لعناصر الكون، تراب وهوا وميا ونار، بتشوف جفر البرج بتاعك وتخصم منه الحروف الغير ملائمة وحسبة المنقوط والغير منقوط وبعدين بحسبة سهله عليهم بتقدر تختار عندك حروف إذا كان القرين ذكر بتضيف عليها أبيل وإذا كان القرين أنثى فغالبا الينا، وبنفس الحسبة بتطلع رقم السورة وبتعرف التكرار، كل قرين ليه صورة من القرآن بتتحكم في قوته، وإذا استدعيته فبتستدعيه لسبب، غالبا مساندتك في شيء بتعمله، ثم أكملت حديثها سائلة عبد الفتاح:

- إنت بقى جبتها ليه يا دكتور ؟

سألها عبد الفتاح مرتبكًا من نظرات خالد وأحمد :

- وإنتِ عرفتي منين ؟

ردّت نيفين :

- أنا كمان معايا حد، وماستدعيتوش على فكرة، هو اللي جالي بس ده لسبب يخصني، وهو اللي قالّي أسألك .

بدا التوتر على الجميع حتى قطع صمتهم خالد قائلًا :

– يا جماعة نهدى شوية بقى كده، ونتكلم بالراحة.

ردت نيفين :

– أنا آسفة يا جماعة، أنا بجد عاوزه أقولكم أنا فعلًا ماشفتش الصندوق، وكل اللي أقدر أعمله إني هاقولكم الكلام اللي هو بيقوله لكن لازم عبد الفتاح يساعدني بإنه يقفل عليها الباب، مش لازم تعرف حاجة، اللي هاقوله سر، والسر اللي...

رد خالد مستكملًا الجملة:

– إذا كشف سر قتل صاحبه.

علق أحمد متسائلًا :

– ويقفل الباب ازاي بقى ؟

ردت نيفين :

– القرين مش بيسيب الإنسان الموكل بيه إلا وقت النوم، وعلشان كده الطريقة الأسهل في إنه يقفل الباب عليه، هو إنه يحاول يهدى جدًّا ويتعامل على أن اللي بيحصل ده كله حلم، شيء أشبه برياضة اليوجا، زي ما بتقنع عقلك بأن الجو حر وإنت بردان جدًّا، فدرجة حرارة جسمك ترتفع وتعرق كمان، تقدر تسميها كده برمجة عقلية، ومتهيألي دكتور عبد الفتاح يقدر يعمل ده، باعتباره روحاني وطبيب، ولاّ إيه ؟

قاطعهم عبد الفتاح، وهو متجه ليستلقى على الأريكة قائلا :

– تمام، إدّوني خمس دقايق.

همَّ خالد بالوقوف متجهًا للمطبخ وعاد حاملًا صينية بها زجاجات مياه غازية، فانفجرت نيفين من الضحك ، وهي تقول:

– أزايز إزاز ، ده انت قديم أوي .

ضحك خالد وأحمد ، وقال خالد مبررًا :

– لا والله مانا، ده البواب بتاعنا بس حافظ مش فاهم.

نظرت نيفين لعبد الفتاح خلفها ثم اتخذت مكانًا آخر مجاورًا لأحمد أمام خالد، وبدأت بتلمس الصندوق وهي مغمضة العين قليلا، ثم قالت :

– الصندوق ده بقاله 3000 سنة مش 300،اتعمل علشان يحمي حاجتين، طلسم للحكم العلوي وصولجان للحكم السفلي، في وقت كان اللي بيحكم فيه بيحكم المملكتين .

قاطعها خالد :

– علوي وسفلي ؟

أجابته مُفسّرة :

– أيوه مملكة بشر، ومملكة جن، الصندوق ده فضل يتوارث لحد ما جه أب خلّف تلات ولاد قرّر إنه يقسّم الأمانة دي على التلاتة ، فإدى لكل واحد منهم جزء من الصندوق .

قاطعها أحمد:

– نيفين مستحيل، الصندوق قُدامك أهو مفيهوش خدش واحد يبقى اتقسم إزاي ؟

ردت نيفين بلهجة صارمة :

– ومين قال إن ده بس هو الصندوق؟ وبعدين هو إنتوا مش لقيتوا صندوق تاني، وليه مكان في الصندوق الكبير؟

نظر خالد وأحمد بعضهما لبعض، ثم نظرا لنيفين، وهي تكمل حديثها :

– إستنوا كده، تناولت حقيبتها لتُخرج منها شيئًا ما، صندوق صغير، نفس الصندوق، نفس النقوش، والأحجار، حتى نفس الأسماء.

فتحت نيفين الصندوق الكبير، والأصغر منه، ووضعت الصندوق الصغير بداخله وكأنها تركب قطع البازل بدقة متناهية، وكأنهما صُمِّما خصيصًا ليتخذوا هذا الوضع .

قطعت نيفين تفكيرهم قائلة :

- الحرفين اللي على الصندوق رمز حماية زي الكود، طلسم أو تقدروا تقولوا شفرة لاستدعاء من يحمي الصندوق وما داخله.

اتكأت على الكرسي الذي خلفها وهي ترفع شعرها بيدها وتقوم بلفه بسوار بلاستيكي مطاطي كانت ترتديه بيدها، مما حفّز خالد للانتباه معها ، ثم قاطع تركيزه سؤال أحمد:

- إنتِ جبتي الصندوق ده منين ؟

أجابته على الفور:

- جدتي إديتهولي بعد ما ماتت.

قاطعها خالد:

- قصدك قبل ما تموت.

ردت بثبات :

- بعد ما ماتت ، ماهي بتاعت عفاريت بقى.

قالتها وهي مبتسمة تُداعب أحمد ، ثم أردفت :

– بُصّوا، أنا قبل ما جدتي تموت كانت بتحصلّي حاجات غريبة، زي إني أحلم بكوابيس مثلًا وألاقي آثارها بعد ما أصحى.

قاطعها خالد :

– ده عادي، دخول العقل الباطن في الوعي،زي إنك تجري، ورجلك تتلوي في الحلم فتصحي تلاقي رجلك واجعاكي .

ضحكت ضحكة لطيفة ثم قالت:

– بس مش لدرجة إنك تحلم بكائن غريب بيجري وراك في المقابر وتقوم تلاقي رجلك مليانة تراب وريحته عليك، أنا إتكرّر معايا الحلم ده تقريبا تلات سنين، نفس الكائن ده، طويل وعريض، أسود، عينه حمرا، ومناخيره مجعدة، جلده ناشف زي جلد التمساح، رجله زي رجل المعزة، وليه قرنين، بيجري ورايا وأول ما أقع في مقبرة أسمع صوت الناس بيقولوا جواز نيفين منه باطل، وأصحى ألاقي رجلي فيها تراب ، كل يوم.

بعد ما ماتت جدتي، بقيت بشوف أحلام من نوع تاني، زي إني أحلم بناس معرفهاش من صحاب والدي مثلا وأقوم أقوله فلان مات وفلان جراله كذا، كانوا بيقولولي ده كابوس لحد ماتأكدوا إن اللي بقوله بيحصل ، لدرجة إن بابا مرة عرف مني

خبر وفاة تلاتة من صحابه في يوم واحد رجع لقاني نايمة انفعل عليا وقالي متناميش تاني ، صعب إن كل ده يكون مفارقة.

صمتت قليلًا تسترجع ذكريات سخيفة ظهرت على تجهم وجهها، فقاطعها خالد ممدا يديه :

– إزازة إزاز مليانة اهه.

ابتسمت نيفين وتناولت زجاجة الصودا من يده وهي تكمل:

– في يوم بتقلب وأنا نايمة، لقيت قدامي راجل شكله جميل أوي، اتخضيت وصرخت، لقيت حاجة بتضربني على ركبتي الشمال، وقعت على الأرض من قوة الخبطة ، عرفت منه لما جالي تاني يوم إنه قريني .

قاطعها خالد :

– تمام، القرين مكان سكنه في الجسم فوق الركبة الشمال.

فأردفت نيفين قائلة:

– مانا عرفت ده بعد كده، المهم، فضلت راقدة كذا يوم، لحد ما كنت نايمة وجت جدتي صحيتني من النو ، وقرتلي قرآن وساعدتني أقوم، مشيت خطوتين راحت مديّاني الصندوق ده، حطّيته في الدُرج وكانت بتقولي انه أمانه، وهايجي يوم واعرف مكانه فين ، لحد ما الأمانة ترجع لصاحبها ، رجعت مالقيتهاش ،

قلت بيتهيألي، كنت باحلم، لما صحيت كنت بامشي، وفتحت الدرج لقيت الصندوق، الكلام ده كان من حوالي 13 سنة،ومن ساعتها محدّش شاف الصندوق، إنتوا أول حد يعرف الموضوع .

نظروا جميعًا للصندوق الصغير وهو متخذ وضعه، غريب هذا التكوين، صندوق بداخل صندوق بداخل صندوق،نظروا بداخله فعلموا أن هناك خاتمًا يجب أن يوضع بداخله، خاتمًا ذا حجم كبير، له رأس مُدبّب،كان هذا يبدو من الحفر بداخل الصندوق، وبجانب مكان الخاتم، تجويف يشبه تجويف الكساء البلاستيكي الذي توضع فيه أمبولات الحقن الوريدي بالعلبة التي تباع بها، إذن عليهم إيجاد الخاتم، والأمبول، كيف ومن أين، كان تفكيرهم مشغولًا جدًّا بكل هذا الكم من المعلومات غير المنطقية، غير المترابطة، هناك دومًا شيء ناقص .

ظلوا صامتين كل منهم يحاول أن يجد إجابة بداخله إلى أن قطع الصمت هذا الصوت، ارتجفوا قبل أن ينفجروا بالضحك وينظروا خلفهم ليقطع أحمد هذا الضحك :

– يخرب بيتك يا عبد الفتاح شكمان عربية نايم ورانا.

–

همّت نيفين بالوقوف قائلة:

- أنا أتأخّرت أوي الساعة بقت 8 لازم أمشي.

قاطعها أحمد :

- تمام بس أكيد هانتقابل تاني قريب.

ردت نيفين :

- طبعا.. لسة في كلام كتير.

هم أحمد وخالد بالوقوف ثم استطرد أحمد:

- طيب هصحّي الأخ ده يروح لمراته زمانها مخنوقة منه، وهاروح أشوف ماما وأخد دش ونتقابل بليل، وإنت روح وصّل نيفين علشان الوقت .

ردّت نيفين مودّعة :

- هاشوفك تاني، باي.

***

بعد أن بدّلت نيفين ملابسها اتكأت على سريرها تبحث فيما حدث في ذلك اليوم الغريب، قطع تفكيرها صوت جرس هاتفها المحمول، نظرت لشاشة الهاتف وما إن رأت الرقم حتى ابتسمت ووضعت شفتها السفلى بين أسنانها، وهي تفكر.. هل ترد أم تغلق الخط؟.. فانقطع صوت الرنّة، فتوترت ملامح وجهها بشيء من التأنيب والندم لتضييع الفرصة، فسارعت بالرد دون تفكير :

- آلو
- صوتك حلو في التليفون.

ردّت في دلال :
- في التليفون بس ؟
- ممم.. أحرجتيني .

ردّت تحاول التملّص من الحديث :
- عبد الفتاح روّح ؟
- وأنا لوحدي، قُلت اتطمن عليكي.

ردت بلهجة مرحة :
- أنا تمام الحمد لله، كله كويس، صحيح خالد ممكن أطلب منك طلب ؟

أجابها خالد بلهفة:
- طبعا أؤمري.

ردّت نيفين بحياء :
- بابا ميعرفش إني كنت معاكم النهارده وبس لو...

قاطعها خالد :
- متقلقيش مفيش مشكلة ، تمام، ها إيه الطلب؟

ردّت نيفين:

- هو ده، بس.

رد خالد محاولًا ايقاعها :

- كنت فاكر هاتقوليلي نتقابل بكره.

ضحكت نيفين ضحكة طفولية، وقالت:

- أنا فاضيه من الساعة 2.

ردّ خالد كمن أصاب هدفًا :

- فين؟

- عند شغلي بقى، بتحب الآيس كريم؟

ردّ خالد :

- طبعًا.. إتنين هاكون عندك ، ممكن سؤال؟

أجابت نيفين في تحفز:

- طبعًا ؟

سألها خالد مداعبا إياها :

- انتي طلعتيلي منين ؟

أجابته بصوت هاديء كمن يروي قصة من قصص الرعب :

- من الصندووووووق.

ضحك خالد ضحكة عالية، وقال :

- بلاش السيرة دي بقة والنبي أحسن أنا لوحدي مع قرينتي هههههههههه .

قطعت ضحكه نيفين بجرأة :

- بما إننا احنا الاتنين برج الميزان ومبروم على مبروم إنت عارف ما بيلفش، إنت اتصلت بيّا ليه دلوقتي ؟

بدت نيفين مندهشة لسؤالها أكثر من اندهاشها لإجابته حين قال:

- معرفش، بس تقدري تقولي كده إنّي غالبًا بعض مانخلّص كل اللي بنرغي فيه ده ، يمكن أقولك كلمة أولها "ب" وأخرها "ك".

ضحكت نيفين ضحكة انتصار بعد أن وصلت لما تريده قائلة:

- بُفتيك يعني، طيب روح كل ونام بقى علشان أنا عندي شغل بكرة بدري ، ولما أشوفك نبقى نكمل.

ضحك خالد، وقد بدا عليه التوتر عندما شعر باندفاعه المفاجيء تاركًا إياها.

لم يكن خالد يريد النوم، ظل يفكر في كل حركة تحركتها نيفين،كيف استطاعت أن تجذبه إليها في هذا الوقت الضيق المليء بالتوتر الغريب، ربما هو الحب من أول وهلة الذي تتحدث عنه القصص الرومانسية الساذجة، أو رائحة الكيمياء التي اشتموها ببعضهما البعض فغيبت عقليهما.

بدا على نيفين التوتر حينما تذكّرت الرائحة، لم تكن تعلم كيف تأتي رائحة الزرنيخ ومن أين لتستقر على شعرها، همّت بالنوم محاولة استرجاع ما حدث بهدوء، ظلّت مبتسمة لفترة لم تعلم كم ساعة مرت حتى ذهبت في النوم.

أصوات متضاربة، كل الأشياء تتخبّط، تتكسّر، تطير في الهواء، كانت الحجرة تدور وكأن هناك إعصار ما قد اجتاحها، دوامة الهواء تأخذ معها كل شيء، نزل كل شيء على الأرض فجأة، اختبار لحظة الموت دون أن تموت ربما هو أصعب اختبار يأتي بالحياة، الظلام حالك، طبيعي، فإذا كان المترل كله يدور في الهواء فمن المؤكد أن الإعصار قد ضرب الكهرباء فقطعها، صمت رهيب جعل الكون كومة من التراب في وسط صحراء لا تسمع فيها سوى صوت زفير الهواء، يأتي كصفير بعيد، يقترب كفحيح ثعبان، ألم أخبركم بأن الصفير يجلب الثعابين؟ ذلك

الثعبان الكبير، أسود اللون، له عين صفراء فاقع لونها، مضيئة، يقترب، ويقترب، ترى لمن هذه اليد التي استقرت على كتفي ؟

فتح خالد عينيه فجأة حين سمع صوتًا يقول له:

الصندوق، السر، اسألها .

رن جرس الهاتف المحمول، نظر في الشاشة فأغلق المكالمة، جلس ليتدارك أفكاره محاولًا التقاط أنفاسه بعد هذا الإعصار، أو هذا الثعبان، أو هذه اليد، أو كل هذا معًا، نظر لهاتفه المحمول، لقد قاربت الساعة الواحدة والنصف، فزَّ من سريره جاريًا للحمام، وبعدما حلق ذقنه والحمام الدافيء أسرع في ارتداء ملابسه، وخرج مسرعًا.

***

كان طعم الأيس كريم ممتعًا، إلى جانب أنه مُهدّيء جيد للأعصاب .

سأل خالد نيفين :

– اشمعنى اخترتي دول ؟

ردّت نيفين بثقة :

- زي مانت اخترهم،فصدق ومستكة وشوكولاته، الاختيار الأمثل لبرج الميزان، رقي المكسرات، روعة الطعم العربي مع المستكة ، وبريق الشوكولاته ، هههههه.

ردّ خالد مُداعبًا :

- يا سلام على الفتي.

- طبعا انا أملك فن الفتي بشكل طبيعي، هههههه.

بدأت نيفين تتخذ لهجة جادة نوعًا قائلة:

- قولي بقى حلمت بإيه إمبارح ؟

ضحك خالد وقال :

- حلمت بيكي.

لم تندهش نيفين بل أكملت كلامه :

- إعصار مش كده ؟

التفت خالد مُحدّقًا بها وقد استقرت ملعقة الآيس كريم قبل أن تلمس فمه في نفس مكانها، لحظات من التحجر، قبل أن يسألها :

- عرفتي منين؟

- أبدًا، متهيألي إني حلمت بيك نفس الحلم، تخاطر، تواصل، ارسال هاتف.

قاطعها خالد مُكملًا أكل الآيس كريم:

- إرسال هاتف، ده اعتراف ضمني إنك كنتي بتفكّري فيّا مش كده؟

انتبهت نيفين لوقوعها في الشرك، ولكنها قالت:

- أكيد طبعًا، بفكّر في كل اللي حصل، لكن متهيألي في حلمي مكانش فيه دي.

قالتها نيفين وهي تمسك بهذه السلسلة الفضية التي يرتديها خالد، كان مُعلَّقًا بها حرف السين، نظرت إليها، وصمتت للحظات .

ضحك خالد ضحكة خفية نمت عنها ابتسامته وهو يفسر:

- دي سلسلة ماما الله يرحمها، كان اسمها سعاد.

ردت نيفين بابتسامة بدا أنها مصطنعة لتخفي شيئًا ما:

- الله يرحمها.

قطع خالد تجهمها متسائلًا:

- مالك يا نيفين، في إيه ؟

ردّت نيفين:

- مش شايف إن غريب أوي إنك تبقى لابس سلسلة فيها حرف سين وأنا لابسة دي ؟؟؟.

أزاحت شالًا كان مربوطًا على رقبتها، وأخرجت من عنقها سلسلة مُعلّقًا بها حرف جيم، ثم قالت:

– دي بتاعت جدتي، الله يرحمها، كان اسمها جنة.

صمت خالد فجأة حين أدرك ما كانت تفكر به، ثم قال :

– معنى إن الحرفين دول معانا إننا محميين ؟

قالها،وهو يضحك محاولًا مداعبتها وإخراجها من حالة الخوف التي لمحها بعينيها ، فردّت عليه :

– طول ماحنا مع بعض، طول مالحرفين سوا، أو تقدر تقول من وجهة نظر تانية، إننا هانكمّل الرؤية، هانفتح الباب واحنا مع بعض.

لم يفهم خالد أيًّا من كلامها، ولكنه بات متيقنًا من أن لديها الكثير لم يعرفه بعد ، ظل صامتًا حتى قررت سؤاله :

– هو إنتوا لقيتوا الصنوق التاني ده إزاي ؟

أجابها خالد، وهو يشير إليها لتكمل كوب الآيس كريم الذي أمامها:

– تخيّلي لقيناه برده في أوضة فيها عفاريت ، هههههه.

قاطعته:

– بيت المنيل ؟

سألها خالد دون اندهاش :

– مش هاقولك عرفتي إزاي، أكيد عرفتي من قرينك صح ؟

نظرت له نظرة مبتسمة كمن وجد أخيرًا شخصًا واحدًا بالدنيا لا يثقل عليه بعدم الفهم، ثم أجابته :

– تصدقني لو قلتلك إني كنت متأكدة ؟

– متأكدة من إيه ؟

ردت نيفين:

– متأكدة إنه كان هناك، بالمناسبة تعرف إن الناس اللي هناك مش صحاب البيت؟

رد خالد :

– قوليله قديمة.

سألته نيفين كمن يلقي زجاجة مولوتوف ويسرع بالجري بعيدًا :

– طيب تعرف مين صاحب البيت الأصلي ؟

اتكأ خالد على الكرسي الذي كان يجلس عليه ناظرًا لها متسائلًا:

– مين ؟ ، استني ، جدتك ؟

ردت جميلة بابتسامة دون حديث.

فسارع خالد بالتحدث :

– ده بجد ؟

أجابته نيفين :

– أنا رُحت البيت ده مرة معاها، وطلعت ألعب فوق، البيت ده غريب أوي، لما دخلت أول أوضة، بصّيت في المراية اتهيألي إني شفت شيخ قاعد على كرسي عالي كان مدّيني ضهره، وناس كتيييير قاعدة تسمعه على الأرض، عارف زي خطبة الجمعة، وبعدين غمّضت عيني وفتحتها لقيتها مرايه، الأوضة التانية كانت مقفولة، دخلت الأوضة التالتة، وفضلت باصة للمراية شفت نفس المنظر، عارف كأنك قلبتهم بنفس الشكل بس حطيتهم عكس الاتجاه.

قاطعها خالد :

– طيب، ولو قلتلك إن الأوضة المقفولة كان فيها فعلًا منبرين، من اللي بيقعدوا عليهم شيوخ ؟

نظرت إليه نيفين باندهاش، وقد ارتسمت كل علامات الاستفهام على وجهها ثم قالت :

– إزاي قبيلة واحدة يحكمها اتنين ؟

ثم صمتت قليلًا وقالت :

- دول قبيلتين،عكس بعض، كل واحدة فيهم كانت بتحمي اتجاه، البنتين ماتوا ؟

رد خالد :

- أيوه، المرايتين متفجرين، متفتفتين في الأرض.. الشيخ اللي قرا قرآن صرف واحدة كانت بتحمي فحضّر التانيه أذت وبعدين العكس، صمتت قليلًا ثم قالت :

- الله يرحمهم .

استطرد خالد قائلًا :

- بقولك إيه سيبك بقى من الحاجات دي وتعالي نتكلم شوية.

وبعد ساعتين من الحديث الجانبي الخاص قطع حديثهما جرس هاتف خالد ؛ فرد قائلًا :

- إيه يا بني مكلّمتنيش إمبارح ليه ؟

فجاء صوت أحمد مُحمّلًا بالسب، واللعن مما دعى نيفين للابتسام ، فرد خالد :

- خلاص يابني أنا جنبي ناس .

-

رد أحمد قائلًا :

- طيب مش هانتقابل النهاردة ؟

أجابه خالد :

- آه طبعا ، قدامي ساعة وأكون في البيت.

فتابع أحمد حديثه قائلا :

- طيب هات رقم نيفين أكلمها علشان...

قاطعه خالد بغيرة بدت واضحة :

- أنا كلمتها وهاجيبها وأجي، يلا سلام، هارنلك قبل ماوصل.

نظر لنيفين منتظرًا سؤالها.. لماذا أخفى أنها معه مثلًا؟ ولكنها لم تسأل بل أجابت :

- يلّا بينا ؟

همّت نيفين بالوقوف بينما انشغل خالد بجمع علبة السجائر، ومفاتيح السيارة حتى سقطت قطرة من المياه على جبهة نيفين جعلتها ترتجف من المفاجأة، مدّ يده ليمسحها، فباغتته قطرة أخرى على يده، ظلا محدقين لبعضهما البعض للحظات، نظرا لسقف المحل، فلقد كان السقف مُحكم البناء، سألته نيفين بينما كان يشتم رائحة المياه :

– الميّاه دي جت منين ؟

نظر إليها خالد قائلا :

– دي مش ريحة مية ، دي ريحة زرنيخ.

***

ظل الجميع ملتفين حول الصندوق، أو الصناديق، لفترة قد قاربت نصف الساعة ولكن غاب عن الحضور عبد الفتاح، الذي على ما يبدو لم يتصل به أحمد، ولا خالد، دقائق كثيرة من التفكير والصمت حتى تلمست نيفين الصندوق، ثم قالت :

– بعد حكاية الأب ده اتفرق ولاده، وبما إن كل واحد كان معاه جزء اللي حصل كان إن اللي معاه الصندوق الصغير مات، وتاني يوم اللي معاه الصندوق الأوسط مات، ده طبعًا بعد أحداث خراب كتير حصلتلهم، فجه الأخ التالت وخد الصندوقين الصغيرين حطهم زي ماحنا حاطينهم كده في أماكنهم، فبقى معاه التلات صناديق ، وكان الوحيد اللي عارف أمر الخاتم، لأن هو اللي أخده من إيد والده وهو بيغسله بعد موته وأخفاه عن إخواته، آخر حد امتلك الصندوق ده كان المؤيد شيخ، حكم مصر في الدولة المملوكية، كان سادس حاكم مملوكي شركسي، للأسف كان طماع، وظالم، وكان تلميذ

للظاهر برقوق، وكان السلطان الوحيد اللي بعد الظاهر بيبرس، في عهده جت على مصر تلات فتن، الفساد، الجوع، الطاعون، وكان بيستحل كل حرام، بعض الناس وصفوه إنه قابيل المملوكين، لأنه عمل زي قابيل لما قدم قربان لله بأسوأ شتلات القمح العجاف، هو بقى لما جه يبني مسجد.. خلع كل الرخام اللي في بيوت الناس علشان يكسي أرض المسجد، وخد النور اللي كان بينور قدام البيوت علشان ينوره، وفرض على الناس ضرايب علشان البنا، لدرجة إن محدش صلى فيه إلا بعد ما مات، المسجد ده موجود لحد دلوقتي على فكرة .

صمتت نيفين قليلًا ثم بعد التقاط أنفاسها أكملت:

– ابنه إبراهيم كان قائد الجيش، محبّش ظُلمه، وعرف سره، كان دايمًا بيستغرب ازاي أبوه برغم كل ظلمه إلا إن كل اللي حواليه بيطيعوه، وكل السلاطين بتخاف منه،وكل الملوك بتقدمله الهدايا ؟ كان لغز محير لحد ما وصل ابراهيم للسر، زي ماتقولوا كده فتح المندل وعرف السر، وبمجرد ما أخد الصندوق من والده وفتحه وخبى كل جزء منه في مكان، أصاب السلطان المؤيد المرض والهزال وبدأ يثور الناس عليه فمات، وابراهيم اختفى بعد ما خبّى الصناديق، وبعد ما خد خاتم أبوه من إيده

ودفنه في مكان ما.. وصنع منه خواتم كتير تشبهه كلها من الذهب مطلية فضة، فإذا خدها حد وحاول يستدعي قوة الصندوق تنقلب عليه، الخاتم المطلوب للحماية هو خاتم فضة، فيه فص أسود ناري مدبب، واللي فتح الباب لازم يكون من فلك هوائي وأقواهم .

صمتت وهي تنظر لخالد، فنظر لها مكملًا الكلمة :

– برج الميزان .

فأكملت :

– لما له من صفة روحانية غير مدركة القوى، يسهل معها فتح الأبواب وغلق المعلقات وفك الطلاسم .

نظرا لبعضهما البعض، ثم قالا في نفس الوقت :

– شموس المعرفة.

***

كانت هاتان الكلمتان كأنهما فتحتا باب الجحيم،ظلوا محدقين بعضهم ببعض لا يفهمون ما يحدث حولهم، كل شيء حولهم يصدر أصواتًا، الأنترية ينقلب، جهاز التلفاز يضيء وينطفيء، الأنوار تأتي وتغيب، كل شيء في لحظات أصبح مقلوبًا حولهم، أحضر خالد الكتاب، لم يعرف قط ما السبب الذي جعله

يشتريه، ولكنه علم الآن، أخذت نيفين الكتاب من يد خالد وفتحته، هي تعلم ما تبحث عنه جيدًا، جلست تقرأ شيئًا حول اسم من أسماء الله الحسنى ثم تناولت من حقيبتها ورقة صغيرة وقلمًا، أغمضت عينيها وجلست تكتب وترسم عدة أشياء، حروف، وأرقام في جدول ما يشبه جدول لعبة ال X O الشهيرة، ولكن خطت بها عدة رموز، كانت تكتب وهي مغمضة العينين بمنتهى الدقة ، وكأن شيئًا غيرها هو الذي يمسك بيديها، فتحت عينيها وطلبت من خالد الخاتم، أسرع خالد بإحضار حلقة كبيرة بها عدد من الخواتم المتشابهة القديمة،كان قد وجدها بداخل الصندوق الكبير، أسرعت تتفحص الخواتم حتى اختارت واحدًا منها، وقالت :

- هو ده الخاتم المطلوب.

ما إن ارتدت الخاتم حتى هدأ كل شيء حولهم، ولكن النور مازال منطفئًا، بصيص ضوء أخضر جاء من بعيد، مجرد هالات خضراء تتزايد عددًا، لوهلة لم يستطيعوا إحصاءها، صرخت نيفين :

- موكب من أهل الصحرا.

أمسكت بيد خالد بشدة مما أوحى لخالد بخوفها، حاول طمئنتها ولكن لم يستطع إخفاء خوفه هو الآخر، كان كل شيء مبهمًا بالنسبة لأحمد الذي ظل مغمضًا عينيه لا يريد أن يرى شيئًا كردة فعل طبيعية لطفل صغير حين يريد أن يختبيء من شيء فيغلق عينيه معتقدًا أن الذي معه هو الذي لا يراه ، قالت نيفين بحدة :

- محدش يبص في عنيهم .

سمعوا صوتًا كاد أن يكون مختنقًا يقول :

- كمّلوا اللي بدأتوه للآخر،إقفلوا الصندوق، إقفلوا الباب، وانتهى كل شيء .

ظلّوا صامتين لوقت محاولين استدراك ما حدث، حتى عاد النور مرة أخرى، كان كل شيء قد عاد مكانه إلا بعض السواد الذي كان في كفي خالد ونيفين، شيء ما كان وكأنهما قبل أن يمسكا أيديهما قد أطبقوا على نقطة من الحبر الأسود، لم يكن حبرًا بالمعنى الواضح ولكنه أشبه بشيء أسود كالفحم السائل، اشتم كل منهم رائحة يديه حتى قالا في نفس الوقت:

- زرنيخ .

قطع صمتهم اتصال عَبد الفتاح فرد خالد :

- أيوه يا عبد الفتاح إنت فَين ؟

أجابه عبد الفتاح :

- أنا جاي، ومعايا حاجه ليكم .

رد خالد :

- انت فين دلوقتي ؟

قاطع عبد الفتاح :

- أنا رِكنت خلاص افتح الباب .

جلس عبد الفتاح بجانبهم دون حديث، وكأنه كان يعلم ماذا حدث بالظبط ثم أخرج من جيبه ورقة حرق جزءًا منها وقال :

- الورقة دي لقيتها في الصندوق، وماقولتلكوش عليها.

ردّت نيفين وهي تأخذ من يديه الورقة :

- الخاتم اللي اخترته كان غلط، كان خاتم متقلّد، الساعة كام دلوقتي ؟

ردّ خالد وهو ينظر بساعته :

- يااااه ، الساعة بقت 9 ! يلاّ إنتِ اتأخرتي جدًا.

ردّت نيفين :

- يلّا، ميعادنا بُكره، لازم نلحق في أول خمس دقايق بعد أذان المغرب .

جمعت نيفين أشياءها بحقيبتها، وأخذت الورقتين معها، وهي تقول:

- أنا هاخلّي دول معايا ، هاتكونوا كويسين من غيرهم.

كانت ليلة صعبة على الجميع، ليلة لم يحاولوا حتى فهمها، خلد كل منهم للنوم إلى أن قطع خلوة نيفين اتصال خالد :

- خالد إزيّك .

قاطعها خالد :

- نيفين، خدي بالك من نفسك .

ردّت نيفين بعصبية :

- قول يا رب، حاجة تانية؟

قال خالد متعجبًا من حدتها :

- مالك يا نيفين في إيه ؟

قالت بحدة أكثر:

- هايكون مالي؟ إنت بتفكّر فيّا ليه، وانت معايا في نفس الوضع؟، خاف على نفسك إنت الأول، أنا مجرد حد، وهامشي بعد كل ده ما يخلص ، مش ده كلامك ؟

رد خالد وقد بدا على صوته الراحة :

- لأ، مش ده كلامي، أنا كلامي إن يمكن بعد ما يخلص أأقولك بحبك، لكن ما قولتش اني مش ممكن اقولها قبل ما يخلص و....

قاطعته نيفين :

- خالد .

قاطع جملتها قائلًا :

- نيفين، أنا مش بحبك، أنا بموت فيكي .

ظل الصمت هو سيد الموقف للحظات حتى جاء صوت نيفين بهدوء غريب :

- تصبح على خير.

***

سار الأربعة في مكان ما، كان الليل هو خلفية مشهدهم، كان عبد الفتاح حاملًا الصندوق، ربما تخبّط منه في شاهد أو اثنين من شواهد المقبرة، كانت الشواهد كلها صلبانًا كبيرة، تنم عن أن هذه المقبرة لمسيحيين، ولكنها مقبرة قديمة معزولة، ما من كنيسة أو دير، ما من مخلوق، أمسك خالد يد نيفين لتتسند عليها وهي تمر فوق السياج الشائك حول المقبرة،كانوا يتصبّبون عرقًا، ولكن ما إن خرجوا منها حتى وجدوا أنفسهم في صحراء جرداء، ما من ضوء، ما من قمر، ما من بشر، كل شيء مُبهم، نظرت نيفين في يدها، مجرد خدش بسيط من السياج، ولكنه ترك نقاطًا من الدماء على الأرض، لم ينتبهوا له إلا بعدما وجدوا الشواهد تتحرك، بعض الأيادي تخرج من الأرض، سمعوا أصوات التوابيت وهي تُفتح، جروا بسرعة لم يكونوا يعرفون ما وجهتهم ولكنهم ظلوا يجرون مُسرعين، توقفوا حين اشتموا الرائحة، مجموعة من البشر العُراة جالسين على الأرض، الظلام جعلهم يبدون ربما رماديي اللون، كانوا يجلسون مكوِّنين حلقة دائرية مغلقة صغيرة، كان عددهم سبعة ورؤوسهم بين أرجلهم، قالت نيفين محاولة الاستغاثة :

- لو سمحتوا.

لم تسمع صوتًا إلا أن واحدًا منهم قد رفع رأسه ووقف، كان بظهره ولكن بدا من هيئته صغر حجمه وكبر رأسه، لف جسده ووقف بمحاذاتهم، كان فعلًا رمادي اللون، نحيف الجسد، تكوينه يشبه الإنسان، ولكن عينيه واسعتين بيضاويتين تتخذان شكلًا مائلًا، نظر إليهم ثم رفع يده ومدها أمامه، كان الجميع خائفين باستثناء نيفين التي همت بأخذ الصندوق من عبد الفتاح وذهبت تناوله إياه، ربت على يدها ثم خلع الخاتم ومد يده مرة أخرى، فأعطته من جيبها ورقتين، نظر لهم ثم اختفى فجأة، بل اختفوا جميعهم ، صوت طرقات متقطعة قادمة وفجأة :

- نيفين ...

ردت نيفين :

- أيوه يا ماما، أنا صحيت.

نظرت نيفين حولها محاولة إيجاد ما يأخذها من هذا الحلم... تذكّرت ربت هذا الكائن على يدها، فقربتها من أنفها فشعرت أن هناك شيئًا ما قد حفز شعور الغثيان لديها، نفس الرائحة، ولكنها بشكل مكثف، أسرعت متناولة الهاتف المحمول لتطمئن على خالد:

- صباح الخير

رد خالد :

- صباح النور يا حبيبتي.

- عامل إيه النهارده ؟

- مش عارف يا نيفين والله، حلم عجيب، إيدك الشمال فيها حاجة ؟

نظرت نيفين ليدها اليسرى ثم قالت :

- آه ، جرح صغير من الخدش اللي في الحديد .

اعتدل خالد في جلسته محاولًا استيعاب ما قالته نيفين وأردف:

- بتهزّري صح ؟

أجابت نيفين :

- طيب كده احنا حلمنا تقريبًا نفس الحلم، تفتكر أحمد وعبد الفتاح بردوا حلموا بحاجة ؟

رد أحمد :

- سيبك انت ، المهم وحشتيني، هاشوفك إمتى ؟

أجابت نيفين بسؤال متجاهلة ما قاله :

- إنت عارف الساعة كام ؟

نظر خالد في ساعة الحائط المعلّقة أمامه ثم قال مُتعجبًا :

– الساعة 5؟ إزّاي؟ طيب هاجيلِك فين ؟

ردّت نيفين :

– خليك أنا قايمة حالًا هالبس واجي.

– طيب بس خلّي بالك من نفسك، وانا هاكلمهم على ما تيجي.

– أوك ، يلاّ باي مؤقتًا.

طبع خالد قبلة على سماعة الهاتف حفزت الخجل بها ثم أردف:

– لا إله إلا الله .

– محمدًا رسول الله .

***

وصلت نيفين، وهي حاملة بيدها صينية مُغطّاة بورق الألومنيوم بدا من رائحتها الحلوة أنها صينية من الكيك بالبرتقال، والفستق تناولها خالد منها مُسرعًا، وهو يقول :

– الله.. إيه الريحة الحلوة دي ؟

أجابته نيفين بابتسامتها :

– عملتلكم كيك ، قلت نهدّي التنشن شويه .

ثم نظرت لعبد الفتاح، وأحمد قائلة :

- مالكم يا جماعة في إيه ؟

رد خالد :

- نفس الحلم يا نيفين.

جلست نيفين في هدوء على الكرسي المجاور لكرسي خالد ثم قالت :

- الصندوق اختفى صح ؟

نظر إليها كل من عبد الفتاح وخالد وأحمد الذي أجاب على سؤالها بسؤال آخر:

- عرفتي منين ؟

ردت نيفين مبتسمة:

- نفس الحلم، الورقتن اختفوا، الخاتم اختفى، يبقى طبيعي الصندوق يكون اختفى،الورقة اللي اديتهالي يا عبد الفتاح كانت بتكمل الورقة اللي انا كتبتها، قفلنا الباب، وعملتلكم كيك.

بدا عليهم عدم الفهم ولكنهم جميعا استحسنوا الفكرة جميعا، فلا بد لهذا الكابوس أن ينتهي، توجهت نيفين للمطبخ لتحضر سكينًا حتى جاء إليها خالد ووقف خلفها ونطق بجانب أذنها وكأنه يطبع قبلة من بعيد، وقال :

- تسلم إيدك ، بابا اتكلم معاكي امبارح ؟

نظرت له نيفين قائلة باستغراب من سؤاله :

- لأ مشفتوش، نمت قبل ما يرجع امبارح ، ليه ؟

- يلاّ بينا وهابقى أقولك .

خرجا نيفين وخالد من المطبخ ممسكين بالأطباق، والسكينة، وصينية بها زجاجات الصودا ، وأردف خالد قائلًا :

- طيب بما إننا خلّصنا ليكم عندي مفاجأة.

نظروا إليه متحفزين، وبدا على نيفين التوتر، والخجل، خافت من أن ينطق بكلمة تفضح سرهما، فقطع نظراتهم خالد قائلًا، وهو يضع يده اليمنى في جيبه :

- أنا قابلت والد نيفين امبارح بالليل، وطلبت إيدها.

صُدمت نيفين مما تسمع ونظرت للأرض، وهي تبتسم وسط ابتسامات الجميع ، فأكمل كلامه قائلًا :

- باقي بس موافقتها، وبالمناسبة دي أنا جبتلها هدية.

وأخرج من جيبه علبة صغيرة بها خاتم من الفضة، يحمل فصًّا أبيض زجاجيًّا لامعًا ووضعه في يديها.

ظلوا مبتسمين وبعد المباركات نظرت نيفين للأرض قائلة لخالد في حياء :

- في ورقة وقعت من جيبك.

نظر خالد للورقة المطوية، وهو يعطيها قطعة من الكيك في فمها ثم التقط الورقة، ولكن بدا عليه الدهشة فنظرت للورقة في يده وسألته:

- إيه دي ؟

- مش عارف.

حاولت ألا تعكر صفو هذه اللحظة وهي تلتقط الورقة بيدها وتزيحها بعيدًا عنه قائلة :

- دي ورقة ملاك الموت، بتاعت التاروت، شكلنا هانحل اللغز الجاي سوا.

- ثم أمسكت بيديه، وهي تضحك.

نظر إليها خالد مبتسمًا ثم قال :

- مش مهم، المهم إنك تكوني جنبي، حتى لو جالي ملك الموت.

***

كانت حياة نيفين، وخالد طوال فترة السنة المنصرمة على أفضل ما يكون، حياة رومانسية هادئة ناعمة، لا يستطيع أيٌّ منهم أن ينسى لحظة منها، حتى برغم معالم نهاية الحمل التي قد بدت على نيفين، فقد كانت تُزيدها جمالًا فوق جمالها، حياة جعلت كلًّا منهم ينسى الحياة قبل لقائهما، لم يدركا قط كيف بدأ حبهما وتوطد في يومين، ولكن كلًّا منهما كان مُصرًّا على جعل الثاني الأسعد، وربما كان هذا هو سبب سعادتهما.

فتح خالد باب الشقة لتُطل عليه نيفين مرتدية فستانًا ورديًا قصيرًا جعلها فاتنة الملامح برغم حملها، كانت تسير سيرًا غير منتظماً نظرًا لما تشعر به من ألم إلا أن هذا التوتر في سيرها جعله يجري عليها ليطبع فوق جبينها قبلة تحمل كل معاني العطف والإحساس بها، ابتسمت نيفين وقالت :

– حمد الله على السلامة يا حبيبي .

فأجابها خالد :

– الله يسلمك، ها.. تحبي نُخرج النهاردة شوية قبل ما نروح المستشفى بكره، ولاّ تعبانة ؟

أجابته على الفور :

– يلّا بينا دلوقتي، أنا مش قادره أقعد عاوزه أشم هوا وأودع الدنيا قبل الولادة .

قالتها،س وكأنها تريد أن تودّع الدنيا تماما .

لم يشعر خالد بالقلق في حياته مثلما أقلقته هذه الكلمات فقال :

– حتى ملاك الموت مش هايفرّق بيننا.

نظرت إليه نيفين وصمتت، ربما جعلتها الكلمة تتذكّر لحظة مشابهة قيل فيها جملة مثل هذه، لحظة اعترافه لها بحبه، ملك الموت، كارت ظهر فجأة واختفى فجأة، ظلت صامتة لفترة ثم قالت :

– يلّا، أنا هالبس ونترل، هاعزمك على العشا.

– ثم أردفت بابتسامة :

– بس على حسابك.

ابتسم خالد وقال :

- وأنا هادخل أخد دش وأغير هدومي ونتزل هوا.

كان الهواء منعشًا كعادته دومًا في مثل هذا الوقت من العام، نعومة هواء النيل مع لمسة الليل، برودة الجو نوعًا مع دفء المكان الذي جمع حبهما من البداية حتى الآن، بعد تناول العشاء والضحك الممتع الذي يتخلل الرومانسية الهائمة بينهما، قالت نيفين :

- يلاّ بقى علشان نلحق نوضب الشنطة ؟

رد خالد بحنان :

- يلا يا حبيبتي .

توجّه خالد مُحتضنًا نيفين للخارج، بمنتهى الحب يتحدثان عن المولود القادم، سيأتيَ للحياة غدًا، لا يعرفون أهو ولد أم بنت؟ فلقد قرّرا من البداية ترك جنس الجنين ليكون مفاجأة لهما، لم يختارا حتى الأسماء، ستكون مفاجأة سارة، وسيكون طفلًا رائعًا بغض النظر عن اسمه أو نوعه، فمن المؤكد أنه يعلم كم يحبانه وكم يحبان بعضهما بعضهما، وهو كل ما يكفي ليكون أروع طفل في الوجود .

كانت خطواهما بطيئة لتناسب وضع نيفين حتى أتى ذلك الصوت قائلًا من خلفهما :

– أقرا الودع والكف واعرف الطالع ، تحبي تجربي يا ست ؟

نظرت نيفين خلفها وضحكت ثم أردفت :

– كله يايد ربنا يا حاجة .

كانت كلمات نيفين عادية لا تثير نفس أحد، ولكن هذه السيدة الغجرية ظلت تنظر في عينيها متجهمة الوجه، مما اضطر خالد للاعتذار قائلًا :

– إحنا أسفين هي مش قصدها حاجة وحشة.

ظلت تلك السيدة تنظر لنيفين حتى بدا على وجهها معالم الشفقة على ما تراه، لوهلة ظن خالد أنها سيدة تعاني مشكلة نفسية ما، أو ربما مجذوبة، ولكن ثقته بإحساس نيفين هو ما جعله متوترًا بعض الشيء عندما لمح على وجه نيفين بعضًا من الخوف من شيء ما ربما قد أبصرته، فقطع نظراهما قائلًا وهو يسحب نيفين من يدها :

– في ايه ؟ يلاّ بينا يا نيفين.

قاطعته نيفين قائلة :

- استنى يا خالد، عاوزه أعرف.

خضع خالد لرغبتها على مضض مما استدعى جلوسهما على السجادة بجوار هذه السيدة على الأرض بجانب شجرة من الأشجار.

سألت السيدة نيفين :

- تحبّي اقرالك الفنجان، ولاّ الكف، ولاّ الكوتشينة، ولاّ توشوشي الودع ؟

قالت نيفين في لهجة متحدية :

- ما تيجي نعمل كل ده ؟

فردّت السيدة :

- لأ بالكتير اتنين .

نظرت نيفين لخالد بضحكة متهكمة كمن أدرك دليل على ضعف حجة الطرف الأخرثم قالت :

- خلاص خلّينا في الفنجان والكوتشينة.

وبعد أن صبّت السيدة القهوة، وشربتها نيفين وأمسكت بالفنجان محركة إياه ثم قلبته على وجهه أعطته السيدة لتقرأه ، لم تنطق السيدة بكلمة، ولكنها كانت تنظر لنيفين ثم تنظر في

الفنجان، ثم تعيد النظر لنيفين ثم للفنجان، وهكذا حتى نطقت بحدة :

- بلاش الفنجان، خلّينا نفتح الكوتشينة.

أمسكت نيفين بالفنجان، ونظرت إليه، نظرت جيدًا، لم ترَ شيئًا، حتى أدركت هذه الأشكال، كانت نيفين تعلم جيدًا ما معنى هذه الأشكال التي رأتها، غير أنها تعلم أن ما من شيء إلا بقدر من الله ومشيئة منه.

نظر لها خالد ثم أمسك بيدها وقال :

- يلاّ بينا يا نيفين.

قالها، وهو يعطي للسيدة العجوز بعض المال، ظلّت السيدة مُحدّقة لنيفين حتى بعدما ابتعدا، لم يجد خالد ما يخفف به توتر نيفين وشرودها إلا جملة مطلقة وهي:

- حبيبتي إنتِ قلقانة ليه ده تهريج، مش فنجان هو اللي هيرسم مستقبلنا أو حياتنا ، ده كلام فارغ.

نظرت له نيفين، وهي مبتسمة وقالت :

- خالد أنا مش قلقانة من حاجة بالعكس، لكن فيه رموز غريبة في الفنجان، غريبة أوي، خلاص خلاص، يلاّ، المهم تعالى بقى نطلع نحضّر كل حاجة علشان مش عاوزة أنسى حاجة

خالص بكرة، ومش عاوزين ننسى الكاميرا، أنا عاوزاك تصوّر البيبي بمجرد ما يخرج من أوضة العمليات.

طبع خالد قبلة هادئة على جبينها وضمها إليه ثم همّا بدخول الأسانسير.

بعد تحضير كل الأشياء جلس خالد بجانب نيفين يحدّثها عن المستقبل غير أنها لم ترد عليه فقال :

- مالك يا نيفين، كل ده علشان فنجان؟

ردّت نيفين، وهي تنظر نظرة حائرة :

- تعرف إن الفنجان ده علم؟.. يعنى إنت لما بتيجي تقرا الفنجان في حاجتين، يا إما بتستدعي قرينك يساعدك بالتواصل مع قرين الشخص اللي بتقراله أو إنك بتكون عارف علم القراءة والرموز، بشكل أو بآخر اللي بيشرب الفنجان بيبقى مختلط معاه، حاجة كده زي بتتواصل بطاقتك، بتتنفس في نفسك بيختلط ببخار الفنجان فبيكون أشكال معينة، علشان كده كل فنجان بيفرق عن التاني .

قاطعها خالد :

- يعنى إزاي بقى ؟

- الفنجان بعد ما بيتشرب بيبقى فيه تقل في جانب من الاتنين، بتلاقي فيه ناحية كثيفة وناحية فاضية نوعًا، اللي بيقرا بيشوف الناحيتين وبيحاول يركب أشكال أو حروف أو أرقام، غالبًا بتكون الأشكال بالتقريب مش بالظبط، فمثلًا لو شفت إنسان ماشي في الناحية الرايقة، ده دليل على إن فيه نجاح وخير لو في الناحية الكثيفة ده دليل على الحزن أو المشاكل لو في القاع فده معناه إنه هايوصل لتحقيق حلم أو أمل بس بعد مده، أما إذا كان راكب على حصان مثلا فلو في الناحية الرايقة بلوغ أمل بسرعة ولو في الناحية الكثيفة بيبقى حزن ونكد، أما لو في القاع فبيبقى سماع خبر حزين قريب، يمكن يكون موت شخص، وفي حاجات بقى غير المنطق المتعارف عليه زي الغراب مثلاً، لو جه فى الناحية الرايقة بيبقى خير ورزق وجمع شمل لكن لو في الناحية الكثيفة بيبقى فراق عن حد بتحبه، صمتت قليلا ثم أكملت ولو جه في القاع وفارد جناحة بيبقى موت.

ثم أردفت قائلة :

- يلا ننام بقى علشان نبقى فايقين الصبح ؟

ابتسم خالد، وقال :

- يلاّ بينا.

بدا الصباح مشرقًا، ويدعو للتفاؤل، سوف يدخلون منزلهم بعد يومين على الأكثر ومعهم ضيف جديد، يشبه أحد أبويه أو يشبه الاثنين على اعتبار آخر، ربما سيأتي جميلًا، له شعر فاتح اللونو وعينان فاتحتان مثل والدته أو فاحم الشعر أبيض الوجه أسود العينين كوالده، وربما تختلط الملامح، ولكن لا بد من أنه سيأتي جميلًا .

بدا التوتر على خالد ووالدي نيفين، حتى قطع وصول أحمد هذا التوتر قائلًا :

– صباح الخير يا جماعة، لسه ماخرجتش ؟

رد خالد متوترًا :

– لسه يا أحمد، بقالها تلات ساعات جوّه، الولادة متعسرة الدكتور قال قيصرية بس مش فاهم ايه سبب التأخير كل ده.

خرجت الممرضة فجأة مهرولة من حجرة العمليات فسارع خالد بالتوجه نحوها سائلًا :

– في إيه ؟

ردّت بتوتر شديد :

– مش عارفه يا دكتور إيه اللي بيحصل، المدام بتاعت حضرتك بتتكلم كلام غريب، وكأنها شايفة حد مش موجود،

حرارتها كويسة بس ضغطها مش منتظم، والبيبي مش راضي يخرج، كأنه مكلبش فيها .

قاطعها خالد :

– يعني إيه مش راضي يخرج، أنا هادخل التعقيم، والبس وأجيلكم جوه .

– طيب اتفضل بس بسرعةو وبهدوء مش عاوزين نوتر الناس اللي معاك .

كانت نيفين في حالة غريبة، يسيل من فمها شيء ما أشبه برغوة بيضاء، قد تكون إحدى النوبات التشنجية العصبية التي تشبه نوبات الصرع، ولكن دون تشنج تتحدث قائلة :

– مش هاتاخد ابني مني، يعني إيه ابنك؟، ده ابني.

كانت عيناها موجهتين لمكان ما في جانب فارغ من جوانب الغرفة.

أسرع خالد بمسك يدها محاولًا تنبيهها وهو يسأل الطبيب بالغرفة :

– فين دكتور التخدير؟ يا دكتور، ازاي تولدوها من غير تخدير كامل ؟

رد عليه طبي التخدير قائلًا :

- أنا هنا يا دكتور خالد، أنا مدّيها سبع جرعات بنج لحد دلوقتى، مش ممكن أديها أكتر من كده ، نبضها بقى 30 ، وكل ما بحاول أخدرها بتزيد الحالة دي أكتر

نظرت نيفين لخالد قائلة :

- فين السلسلة ؟ فين السلسلة ؟

رد خالد :

- أهي يا حبيبتي ... الاتنين أهم ، أمسكت نيفين بسلسلتين من الفضة ، إحداهما تحمل حرف س والأخرى تحمل حرف ج ، كانت تلك السلسلتان اللتان يرتدي كلٌّ منهما إحداهما.

بدأت تهدأ ثم انفجرت في البكاء محدثة خالد :

- عاوز ياخد ابني مني ، متسيبهوش ، ده ابننا.

رد خالد :

- حبيبتي البنج بيخليكي تهلوسي ، ابننا كويس ومافيش حاجة

قاطعهم صوت بكاء الطفل ، فأسرع قائلًا وهو ينظر لجماله :

- هو انتى عاوزة ولد ولا بنت ؟

صمتت نيفين ثم تركت يديه كمن دخل في حالة إغماء ، مما استدعى سرعة تحرك الأطباء ، صاح الطبيب بغتة :

- بسرعة محتاجين نقل دم ، بتترف جامد.

بعض التوتر عمَّ جو غرفة العمليات ، الممرضة ترد:

- الدم خلص يا دكتور.

رد خالد أنا فصيلة دمي زيها ، تعالي بسرعة.

أسرع الطبيب بنقل الدم من خالد لنيفين محاولًا إسعافها.
فاقت نيفين لتجد خالد بجوارها ممسكا بيديها ووالدها ترحب بها قائلة :

- حمدالله على سلامتك يا حبيبتي ألف مبروك.

ابتسمت نيفين ثم سألت خالد :

- ولد ولا بنت ؟

رد خالد :

- الاتنين.

نظرت له نيفين قائلة :

- بتهزر ، توأم ؟

- رد خالد مبتسمًا وهو يحمل طفلًا ووالدها تحمل الآخر :
- ولد وبنت ، بصراحة الولد زي القمر شبهي بالظبط ،... البنت بقى...

ردت نيفين وهي تراها :

– أحلى منك علشان شبهي.

لم يكن أيٌّ منهما مستوعبًا هذه المفاجأة ، فلم يكن ضمن توقعاتهما قط أنهما سيأتيان بطفلين لا واحد ، كيف لم يرياه في الأشعة التي كانا يرياها كل شهر ، كانت نيفين سعيدة ولكنها ظلت تتسائل تُرى من الذي كان يحدثها ؟ ... من الذي كان يقصد أن لديه طفلًا منها ؟ ...من في طفليها الهجين ؟

كانت تعلم بداخلها أن فكرة الهجين فكرة قديمة الصنع ، ربانية الاختيار ، واقعة بين إنس وجان ، ينتج عنها طفل مهجن ، قد يأتي للعالم فتنة ، قد يأتي للعالم مبشرًا ، هذا وفقا لعالمنا ، قد يأتي بالموت لكل من حوله ، إذا أتى لعنة .

ذهب خالد ليحضر تورتة عيد الميلاد كعادته طيلة السنوات الفائتة ، هذا العام عيد الميلاد مختلف ، فتوأماه سوف يدخلان المدرسة قريبًا ، غدًا موعد المقابلة الرسمية لتحديد قبولهم في هذه المدرسة التي اختارتها نيفين بالتحديد لتناسب حالة طفليها ، هذه الحالة التي كان يسعد بها الجميع إلا هي ، كل من حولهم قد أجمعوا على أن الطفلين ذكيان لدرجة العبقرية، إلا هي ، كانت دومًا مصرة على أن بهما شيئًا غريبًا ، كانت دومًا تراقب كل تحركاتهما وتصرفاتهما ، حتى في نومهما ، كانت تقضي الكثير من

الوقت بجانبهما ، تراقب نومهما، لو طالت أن تدخل أحلامهما ، لما ترددت لحظةِ واحدة .

التف الجميع حول تورتة عيد الميلاد ، في جو أسري لطيف ، نيفين وخالد وطفلان غاية في الروعة والجمال يحتفلان بعيد ميلادهما السادس ، أحمد وزوجته ، كم من مفارقات حدثت في هذه السنوات لتجعل أحمد الصديق المقرب لخالد يرتبط بصديقة نيفين الوحيدة ، في علاقة تجعل منهم عائلة كبيرة ، والدة نيفين ووالدها وعبد الفتاح صديق خالد وأحمد وشاهد على حب نيفين وخالد وزوجته المتشككة في كل شئ، صوت الكاسيت يضفي فرحة في المكان بأغنيات الأطفال وعيد الميلاد في صالة المنزل ، ما من شيء يضاهي هذا الجو الرائع إلا عيني نيفين التي كانت مسلطتينِ على تليفون المنزل بالقرب منها ، وكأنها تنتظر رنته ، تعالت الأصوات تنبئ باقتراب إطفاء الشموع وسط بهجة الجميع وفرحتهم بالطفلين ، انطفأت الشموع ، أسرعت نيفين بفتح النور وبدأ خالد بتقطيع التورتة بينما انشغل الكل بتقديم الهدايا للطفلين وتقبيلهما لتهنئتهما ببداية عام جديد ، لم يكن توتر نيفين خافيًا على خالد الذي أسرع بمسك يدها في حين انشغلت اليد

الأخرى بالتقطيع ، غير أن عيني نيفين ظلتا باقيتان على التليفون الذي رن فجأة فجرت لتلتقط السماعة.

– آلو.

ثم نظرت لخالد قائلة:

– المستشفى.

ذهب خالد ملتقطًا السماعة من يدها وهو يبتسم ثم رد :

– آلو ، أنا خالد.

– دكتور خالد تعالى بسرعة .

رد خالد :

– مش معقول يا منال ، مش ممكن أسيب كل عيد ميلاد وأجي، خير ؟

– حادثة يا دكتور ، حضرتك أقرب حد ، وتقريبًا حد يعرف حضرتك ، واحدة ست كبيرة ، وطالبة وجود حضرتك والمدام بالإسم

بدأ خالد يتوتر ثم أجاب :

– إسمها ايه ؟

– بتقول حورية ، شكلها مش من قرايب حضرتك ، لابسة جلابية سودة وشعرها منكوش.

انقطع صوت الممرضة فجأة ، ولكن بدا التوتر مخيمًا على جو المستشفى بجانب التليفون ، الكثير من الحركة والحديث بصوت عالٍ ، هناك من يطلب أكياسًا من الدم وبعض حقن التخدير ، سارع خالد بإغلاق السماعة قائلًا وهو في شدة الأسف.

– أنا أسف يا جماعة مش عارف أقولكم إيه.

– قاطعته نيفين قائلة :

– مين اللي مات المرادي ؟

أجاب خالد :

– تعرفي واحدة اسمها حورية ؟

أجابته نيفين قائلة :

– لأ، خير؟

– واحدة طالبة تشوفنا دلوقتي في المستشفى وطالباكي معايا بالإسم ، معرفهاش.

حاولت والدة نيفين تدارك الموقف قائلة :

– روحوا يا ولاد ربنا يجيب العواقب سليمة ، واحنا مع الولاد هنا ماتخافوش عليهم.

عم التوتر كلًّا من أحمد وعبد الفتاح ، بجانب نهى زوجة أحمد ، فهي الصديقة الوحيدة لنيفين وتعلم جيدًا أن توتر نيفين يأتي دائمًا مبشرًا بأنباء غير سارة.

توجه خالد ونيفين للسيارة بينما تبعهما أحمد ونهى محاولين تدارك هذا التوتر غير المنطقي في ليلة مثل هذه.

حين وصل الجميع للمستشفى كان كل شيء يسير في سرعة غير طبيعية ، من الواضح أن الحادث كان كبيرًا ربما نجم عنه بعض الوفيات والعديد من الجرحى ، توجه لمكتب الاستقبال مستفهمًا :

– خير يا بسمة ، فيه إيه ؟

– أتوبيس يا دكتور اتقلب من فوق الكبري على عربيتين ، اللي في العربيات ماتوا واللي في الأتوبيس ما بين وفيات وحالات حرجة ، استدعينا كل الأطباء تقريبا بس فيه حالة بتسأل على حضرتك ، ويا ريت تلحقوها.

قاطعتهما ممرضة قائلة لخالد :

– دكتور خالد كويس إنك وصلت ، محتاجينك في العمليات ، والست اللي عاوزاك في الأوضة اللي في الوش دي .

جرت نيفين متجهة للغرفة وتبعتها نهى وأحمد بينما انشغل خالد بخلع معطفه وإعطائه الممرضة وتبعهم.

نفس السيدة ، لن تنساها نيفين ، ظلت في مخيلتها طوال السنوات الست الفائتة ، لن تقول لها شيئًا ولكنها بقيت صامتة ، نظرت لها نيفين كمن تقول لها كنتِ تعلمين كل شيء وأخفيته عني.

رفعت السيدة يدها في مواجهة نيفين فأسرعت نيفين بمسكها. واقتربت منها قائلة :

- مين منهم مش ابن خالد ؟.

كان السؤال غريبًا على أذني كل من أحمد ونهى ، غير أن ردِ السيدة كان أغرب حين قالت :

- الاتنين ،.... الاتنين ولاده ومش ولاده ، اللي كان عاوزهم كان عاوز يحميكي ، لكن انتي مافهمتيش ، فتنة جت على ايدك ، ربنا يتولاكي ، ثم أخرجت من جيبها ورقة مطوية وأعطت نيفين إياها... فتحت نيفين الورقة ، وبدا عليها الزعر فشدها نهى على الفور قائلة :

- تاروت ؟؟؟

نظرت نيفين لنهى قائلة :

– رقم 13 ، ملك الموت.

أسرعت الممرضة وخالد بالاتجاه للغرفة حين سمعا جهاز القلب يطلق صفيرًا متصلًا يخبر بموت السيدة ، سارعت الممرضة بمحاولة إسعافها بجهاز الصدمة الكهربائية بينما انشغل خالد بمحاولة فك يد نيفين من يد السيدة المتشنجة عليها وهي مذعورة من هذا الموقف حتى ساد الصمت بموت السيدة نهائيًّا.

مرت عدة ساعات ونيفين ونهى وأحمد منتظرين خالد بكافيتريا المستشفى ، وهم صامتون نهائيًّا، كل منهم يحاول تشبيك الأحداث وفقا لمنطقه الخاص ،حتى جاء خالد قائلًا :

– مالكم يا جماعة انتوا لسة متنشنين ؟

مدت نيفين يدها لخالد بورقة الكوتشينة التي أعطتها لها السيدة قائلة :

– فاكر دي ؟

نظر خالد للورقة قائلًا :

– يااااه لقيتيها فين ؟، مش دي الورقة اللي وقعت من جيبي وأنا باديكي الخاتم لما قلتلك بحبك؟

ابتسمت نيفين قائلة :

– تقريبا ، اديتهالي حورية قبل ماتموت.

قالتها نيفين في ثقل واضح قبل أن تسقط مغشيًا عليها ، كانت تسمع أصواهم بعيدة وهم يحاولون إفاقتها ، الكل يردد اسمها ، خبطات على وجهها في محاولة استعادها ، كان جسدها بينهم بينما روحها في عالم آخر ، عالم كان ينتظرها به آمنة، كان الصوت لها ، ولكنها كانت في هيئة أخرى ، لم تكن بهذا الشكل قبل أن تغادر الحياة ، لم تكن عروق يدها نافرة لهذا الحد ، لم تكن إحدى عينيها تلتف باللون الرمادي الفاتح ، لم تكن أصابعها بهذا الطول المفرط ، لم يكن صوها متحشرجًا لهذه الدرجة ، ظلت صامتة تنظر لها في خوف ، لم يكن من السهل قط عليها وجودها مغ شخص ميت في مكان واحد ، كانت كل عضلاها متيبسة حتى كاد دمها يتجلط في عروقها ، شعرت أها تتصبب عرقًا رغم إحساسها بالبرد ، لم تنطق بكلمة حتى سمعت صوت هذا المسخ يتفوه أمامها ، لم تكن الكلمات واضحة ولكنها بالكاد استطاعت أن تستوعب ماذا يريد ، تحولت السيده فجأة لكائن غريب ، أنه شيء ما لم تدرك كنهته ، لم تره من قبل ، شخص ...لا ... لا يمكن أن تطلق عليه شخص ، لم ترَ من قبل شخصًا يمتلك يدًا واحدة تخرج من ذيله ، ذيله الذي لا ينتهي ، فقط يلتف حولها ، ويلتف ويلتف ، يكاد أن يعتصرها ، نظر

ليدها فلم يرفع عينيه عن الخاتم ، الخاتم ، خالد ، بدأت تتذكر، الخاتم ، نظرت لهذا الغريب قائلة :

– خاتم خالد ؟ هو ده اللي إنت عاوزه ؟

نظر لها هذا الشيء نظرة نزلت عليها كالصاعقة ، نظرة تحفز لإهانتها له ، واستهانتها به ، هل من الممكن أن يأتي بها هنا ؟ لمجرد خاتم ؟ ظل ينظر إليها ثم قال :

– في التراب ، قبرها ، النهاردة .

ثم نظر للسماء وعاود النظر إليها وهو مصوب كل رزاز السم الذي بفمه نحو وجهها ، شعرت نيفين بالخدر يسري في جسدها ، خبطات متتالية على وجهها ، ربما هو الإحساس ما قبل الموت ، إحساس غريب قد أخذها بعيدًا ، بعض السم يعتلي وجهها ، هل ذكر قبرًا ، أغمضت عينيها ، لم تعد قادرة على الوقوف أيضا ، سقطت على الأرض ، ذيله يحل ثقله عنها شيئًا فشيئًا ، ماتت ؟ .... هل .... انتفضت نفضة جعلتها تلفظ من فمها الكثير من الهواء الذي بات غير مرتاح في رئتيها ... فتحت عينيها لتجد نفسها ملقاة على الأرض وخالد وأحمد وعبد الفتاح يحاولون إفاقتها.

نظرت إليهم نظرة ارتباك واضحة متسائلة :

- هو ايه اللي حصل بالظبط ؟

رد خالد في توتر محاولًا تهدئتها واستيعاب ماحدث :

- ولا حاجة إنتي بس الظاهر ماقدرتيش تتحملي الفرحة وشكل الخاتم ، اغمى عليكي.

نظرت له كمن يتذكر شيئًا ، ثم قالت :

- الخاتم ، هو الخاتم ده جبته منين ؟

رد خالد في عجالة كمن لم يرد أن يخبرها ولكنه مضطر:

- الحقيقة أنا مجبتوش ، أنا عملته.

ردت نيفين متسائلة :

- عملته ؟

رد خالد كمن لم يرغب في البوح :

- أنا مكنتش عاوز أقولك بس هاقول ، يا ستي أنا رحت علشان أجيبلك الخاتم ، ولما جيت أحاسب الجواهرجي ، لقيت في وسط الفلوس اللي في جيبي الفص ده ، صراحة معرفش جه منين ، ولما وريته للجواهرجي قالي إن الفص ده غالي جدًّا ، ومش موجود ، وعمره يجي من 1000 سنة وسألني أنا جايبه منين ، صراحة معرفتش أرد ، بس أنا دايما بحب أجمع الأحجار الغريبة اللي بلاقيها في أي مكان ، حقيقي مش عارف ، لكن

اللي عارفه اني حسيت اني مش ممكن الاقي فص أروع من ده علشان اقدمهولك في الخاتم.

كان أحمد وعبد الفتاح ملتزمي الصمت في هذه الأثناء ، اللحظة السعيدة تبدلت بلحظات ، ولكن توتر عبد الفتاح من الذي يسمعه وصل لدرجة أن يلقي الكوب الذي بيده ويركض بجوار نيفين صارخًا:

- وريني الخاتم.

توتره لم يخف نيفين ، فلقد استوعبت ما حدث لها بالفعل.

كان السرد رائعا ولكن لم يكن ليصدقه أي شخص عاقل ، إلا هم ، فجميعهم يعلم جيدًا ، أن كل ما حدث كان أغرب من الخيال ، الآن ، وقد عرفوا أين يتجهون ، بات عليهم أن يعرفون أين هو قبر هذه السيدة ، من هي تلك السيدة أصلًا ؟ وهل سيحفرون قبرها ؟ هل سيحاولون أصلا أن...؟ قاطعهم صوت نيفين قائلة :

- أنا عندي حاجة عاوزة أقولها .

بدا صوتها واضحًا ولكن بدا منه كم من التوتر المهول ، بالرغم من أنها كانت تتحدث بشكل حازم ، قاطعها خالد قائلًا :

- قولي ، أنا كده مش فاهم حاجة.

نظرت نيفين لثلاثتهم قائلة :

– الموضوع لسة مخلصش ، الحاجة الوحيدة اللي حاسة إني عارفاها ومعرفش أنا عارفاها منين وازاي إن القبر اللي لازم نروحه ، هو قبر الست اللي ورثت الصندوق ، الفص ده مش مجرد فص ، الفص ده وقع من الصندوق.

قاطعها أحمد بشكل مفاجئ متشككا :

– يعني إنتي عاوزة تقولي ان الحجر وقع من الصندوق في جيب خالد ؟ ...إحنا ما صدقنا الموضوع ده اتقفل يا جماعة هانرجع تاني نقول صندوق.

عمَّهم الصمت بعض الوقت ، ولكن ظلت نيفين محتفظة بهدوئها، بدا التوتر على كل من كان موجودًا ، أحمد ظل يجول جيئة وذهابًا ، واستمر عبد الفتاح على كرسيه بلا حركة ولا نطق ، بينما ظلّ خالد ممسكا بيد نيفين جالسين أرضًا ، .... صمت شقه عبد الفتاح بسؤال مفاجئ جاء بنبرة عالية لنيفين:

– نيفين إنتي متأكدة ان اسمها حورية ؟

صمت الجميع لبرهة مترقبين نيفين ، تتابعت نظراتها وقالت :

– أيوة ، حورية ، بس إنت تقصد ...؟، مش ممكن تكون حورية ال...، لا لا ، أصلًا ده تاريخ خرافي و...

قاطعهما أحمد قائلًا:

– لا لا لا ، ثواني بقى علشان إحنا لازم نفهم إيه الموضوع ، وبجد أنا بدأت أحس إن حياتنا بتضيع ، خلونا نقفل الموضوع ده نهائي.

كان الوقت قد قارب التاسعة صباحًا ، فاجأ الجميع صوت عبد الفتاح حين قال:

– لازم نتحرك بسرعة ، النهار أحسن من الليل ، لكن الأول لازم تفهموا اللي أنا بفكر فيه ، واللي متهيئلي نيفين وصلتله.

نظر لنيفين كمن يعطيها حق التكملة فقالت:

– قبل ما يتفك رموز حجر رشيد ، كان فيه تاريخ الناس بتعرفه ، التاريخ ده اسمه دلوقتي التاريخ الخرافي لمصر ، تاريخ كان فيه قصص كتير غير اللي عرفناها بعد ماتفك حجر رشيد ، حورية ، كانت واحدة من اللي حكموا مصر، حورية كانت بنت الملك طوطيس أول الفراعنة ، حكمت مصر بعد موت أبوها ، ولو عاوزين تعرفوا امتى بالظبط فببساطة حورية كانت تملك سارة وهي من أهدتها لهاجر، واللي تزوجها إبراهيم فيما بعد وأنجب منها إسماعيل ، حورية حكمت مصر لكن حصل غزو

عليها ، من أول العمالقة ، كان اسمه الوليد ابن دومع ، الراجل ده خلف ولد اسمه الريان حكم مصر بعده وكان عادل جدًّا ، وكان المصريين بيسموه نهراوس ، وعلى فكرة الريان آمن على يد يعقوب ، والتاريخ الخرافي بيقول إنه هو اللي بنى حصن بابليون وكان راجل طويل جدًّا ، وسيم جدًّا ، وعالم في الطلاسم والسحر وهو اللي بنى حصن بابليون ، وبيقال إن حورية سلطت عليه روح الشر لما أبوه غزا مصر ، والتاريخ الخرافي بيقول برده ، إن روح الشر أخدت روحه وفسد حاله وأخلاقه ، وانشغل بأمور الشر والسحر ، وساب الحكم لواحد من رجالته كان اسمه قطفير ، بيقال إنه العزيز اللي ربى يوسف وقعد يوسف مكانه بعد كده.

قاطع خالد حديثها محاولًا تهدئة الموقف وهو يستفهم عن بعض الكلام :

– بغض النظر عن وسيم جدًّا ، إيه علاقة الريان وحورية بالفص وباللي إحنا فيه ؟

قاطعته نيفين قائلة وهي تبتسم إثر مفاجأتها من تعليق خالد ، وقد كسا وجهها بعض الخجل :

– الموضوع ببساطة إنه معروف في التاريخ الخرافي إن دايمًا كانت أواني حفظ الأرواح زي روح الخير وروح الشر وحفظ الطلاسم وخواتم الحكم في الفترة دي ، بتحفظ في صناديق ، نفس فكرة التابوت ، صندوق جوا صندوق جوا صندوق ، زي تابوت جوا غرفة جوا مقبرة ، وكانت مقابر العظماء بتاخد الشكل الهرمي لنفس السبب فكرة الجاذبية وبؤرة التحكم وزوايا النجوم ودروب الفلك ، فكانت الأحجار والفصوص والحروف كلها كانت للحماية ، وغالبًا كانت الأحجار بتاخد الشكل الهرمي ، زي الحجر ده ، قالتها وهي تنظر للخاتم .

استبعد خالد الفكرة تمامًا من رأسه ، غير أنه لم يجد سوى سؤال واحد :

– طيب على فرض إن الفص ده وقع من الصندوق هانجيب الصندوق منين علشان نرجعه ، وبعدين إنتي بتقولي إن.....

قاطع أحمد الحديث قائلا:

– لحظة يا جماعة ، إنتوا بتقولوا حورية والريان وأيام سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ، الصندوق كان عليه حرف ال س وال ج حروف عربي يا جماعة ، هما في الوقت ده كانوا بيتكلموا عربي؟

سكت الجميع عدا عبد الفتاح الذي أجاب قائلًا :

- لأ طبعا ، لكن الحفر كان من بره، ومن زمن بعيد، مقدرناش نحدده ، لكن كان واضح إنه أجدد من الصندوق ، ممكن جدًّا يكون اللي ورثه كان عارف اللي فيه ، وعلشان كده كان بيحاول يحميه ، أو يحمي اللي يفتحه .

ردت نيفين :

- أعتقد إن كده لازم نروح حصن بابليون ، بس قبل مانروح ، خلوني أعرفكم على حد لازم يكون معانا.

قامت نيفين لتمسك بحقيبة يدها التي كانت ملقاة على أحد كراسي الأنتريه وأخرجت منها هاتفها المحمول وبدأت تتحدث مع فتاة بدا من بداية المكالمة أنها مقربة لها جدًّا ، حتى بدأ الجميع ينصت إليها بعد ما فتحت الميكروفون ليستمع الجميع.

قالت نيفين :

- نهى أنا فتحت السبيكر ، معايا خالد وأحمد وعبد الفتاح ، هما أصلًا على الأغلب بيقولوا عليا مجنونة دلوقتي بس أنا عارفة ، إنك اللي ممكن تقوليلنا نعمل ايه.

جاء صوت نهى هادئا ناعمًا ، لا يختلف كثيرًا عن طريقة نيفين في التحدث الجذاب قائلة :

- صباح الخير يا جماعة ، بس أنا الحقيقة معرفش المجنونة دي بتتكلم عن إيه.

- هي ماتهزريش ، الموضوع ببساطة إن حضرتك عاملة دراسة عن التاريخ الخرافي لمصر ، مين هي حورية ؟ وايه علاقتها بالريان ؟ ووصلوا لفين ؟

- حورية حكمت مصر وأبو الريان لما غزا مصر وحكم ، بعض الآراء بتقول إنه سجنها ، وعذبها ، حورية كانت ضليعة في أمور السحر والطلاسم ومكانتش مؤمنة بإله ، كانت مؤمنة بفكرة روح الخير وروح الشر ، وانتقامًا من الوليد أبو الريان سلطت على الريان روح الشر اللي أخدت روحه وسلبت عقله ، وخلته هو كمان عالم بأمور الطلاسم ، فيه كلام كتيير لكن أهم حاجة فضلت بتربط حورية والريان إن حورية حبست روح الريان جوه روح الشر والريان لما ماتت حورية احتفظ بروحها معاه علشان تفضل تحمي اللي باقي منه ، هي حاجة كده زي الدايرة ، لكن اللي عملوه السحرة اللي مع روح الشر بعد كده إنهم لما مات الريان خبوا روح حورية مع روحه ، بحيث لو حد خرج روح الشر يكون فيه روح مسيطرة عليه معاها ، حورية يا

جماعة برغم كل ده كانت مؤمنة بروح الخير وكل الناس كانت بتحبها.

– تابوت ؟

– أيوة يا نيفين تابوت الروح مش تابوت الجسد ، الروح كانت بتحفظ في أشياء ، أي حاجة ممتلك خاص ويفضل تكون من الأشياء الشخصية القريبة زي الخاتم مثلًا ، والاعتقاد الأغلب إن الريان روحه كانت في الخاتم اللي بيلبسه ، واللي كانت عاملاهوله حورية بنفسها ومن خلاله سلطت عليه روح الشر ، أما عن حورية فالبعض بيقول إن روحها كانت في خصلة شعر ، وفيه اللي بيقول إنها كانت في خاتم ، وفيه رأي بعيد بيتكلم عن سلسلة كانت وارثاها من أمها وكان فيها...

قاطعها الجميع في وقت واحد قائلين:

– فص.

بدا على نهى بعض التوتر قائلة :

– أيوه فص ، هو فيه إيه ؟

– نهى ، فين إتدفن تابوت الروح ده ؟

– نيفين مش محتاجه ذكاء ، حاجة زي دي على الأغلب محدش يعرفها لأن محدش من اللي خبوهم كان عاوز المكان

يتعرف، لكن لازم علشان تحافظي على الروح تقربيها من المكان اللي كانت بتفضله ، لو بتدوري على روح الريان ، غالبًا هاتلاقيها فقصر بابليون، ولو عاوزة رأيي الشخصي ، بما إن قصر بابليون جنب كنيسة مارجرجس اللي كان مكانها أصلا مكان للعبادة في نفس الوقت ، فلو قلنا إن الروح الطيبة بتجنح للإيمان، قدامكم قد إيه وتكونوا هناك ، أنا قدامي عشر دقايق ، هاستناكم .

كان رد فعل نهى أقرب إلى نهايات ألف ليلة وليلة التشويقية عندما يأتي صياح الديك في منتصف الحدث المهم ، حتى قطع هذا الإحساس أحمد بينما انشغل الجميع بالنهوض والتعديل من مظهرهم للاستعداد للخروج وهو يوجه سؤالًا لنيفين :

– بما إن أنا الوحيد اللي فاضي ، صحبتك مرتبطة ؟

ابتسمت نيفين بينما التفت له خالد بنظرة اندهاش في حين لم يلتفت عبد الفتاح لمثل هذه الترهات.

كانت مقابلة نهى لهم حميمية جدًّا ، لم يقم أحد بالتعريف ، كانت كمن يعرفهم جميعا مما جعل خالد يداعب نيفين بجملة مرحة قيلت في نوع من السرية بينهما :

- صحبتك عارفة كل واحد فينا مين واحنا أول مرة نتقابل ، مكنتش أعرف انك بتعرفي توصفي بالتفصيل ، بالمناسبة لايقة على أحمد .

ابتسمت نيفين وهي تنظر للجانب الأخر حتى توقفا عند المدخل وهنا قالت نهى :

- أنا معرفش إيه اللي جايبكم هنا ومش عاوزة أعرف بصراحة ، بس من هنا جرس الكنيسة ، وجوه الكنيسة من هنا تمثال مريم والسيد المسيح ، والطبيعي إن الاتجاه المقابل فهايكون للطرف التاني من الأرواح ، ادفنوا اللي لقيتوه ، وردوا الروح لمكانها و ،.

قاطعتها نيفين قائلة وقد خلعت الفص من الخاتم وشرعت في إعطائه عبد الفتاح قائلة:

- إنت عارف مكان حورية لازم يكون فين .

كان اليوم غريبًا من بدايته ، ولكنه انتهى بكل ما فيه ، ربما لن يتذكر أحد منهم أي شيء من هذه الأحداث التي حدثت ، ربما يعتبروها لم تحدث أصلًا ، الساعة الثامنة مساء ، الجميع موجود بمنزل نيفين ، حيث أعدت والدتها العشاء للجميع، وبعد الاعتذار عن عدم وجود والدها ، جاءت نهى من المطبخ حاملة

بيدها كعكة عيد ميلاد كبيرة ، ووضعتها أمام الجميع ، نظرت نيفين متسائلة في دهشة بالغة لنسيانها مثل هذا اليوم :

- إيه ده ، هو النهارده...؟

رد خالد :

- كل سنة وإنتي دايما طيبة ، طبعا الخاتم هانستلمه بكرة بعد مانحطله فص ، لكن مانسيتش أجيبلك هدية تانية.

قالها وهو يخرج سوار من الفضة ويضعه حول معصمها.

بينما قاطعت والدتها هذا الحديث قائلة:

- كويس إنك ماجيبتش خاتم وإلا كانت هاتبقى هديتي متكررة.

نظرت نيفين للخاتم ونظرت لخالد ، لم تكن نظرة نيفين وخالد تحتاج لأي توضيح ، فمن الواضح أن غريبًا قرر حضور الاحتفال هذا العام ، ربما يكون وهمًا ، وربما طيفًا ، وربما..حورية.





سلسلة السر 2

خادم الصندوق

مجرد خدش بسيط من السياج ، ولكنه ترك نقاطا من الدماء على الأرض ، لم ينتبهوا له ، إلا بعدما وجدوا الشواهد تتحرك ، بعض الأيدي تخرج من الأرض ،سمعوا أصوات التوابيت وهي تُفتح ،جروا بسرعة لم يكونوا يعرفون ما وجهتهم ولكنهم ظلوا يجرون مسرعين ،توقفوا حين اشتموا الرائحة، مجموعة من البشر العراة جالسين على الأرض، الظلام جعلهم يبدون ربما رماديي اللون, كانوا يجلسون مكوّنين حلقة دائرية مغلقة صغيرة ، كان عددهم سبعة ورؤوسهم بين أرجلهم

Cover by #ahz_art


9789774883538



دار اكتب للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الحلحان من ش الشيخ منصور المرج العربية – القاهرة – مصر
E-mail : daroktob1@yahoo.com
01144552557